MAJALLAH
Regd. No.LW/NP 59
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-3) Jan.Feb.. 2001 (Monthly)

صدر حديثاً :

محمد إقبال

الشاعر المفكر الفيلسوف

"... إنني أحببته وشغلت به كشاعر الطموح والحب والإيمان وكشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة ، وكأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية ،وأعظم ناقد لها وحاقد عليها ، وكداعية إلى المجد الإسلامي وسياة المسلم ، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين ، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية ..." .

"إن جل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر ، أنطقه الله الذي أنطق كل شئ ، أنطقه كما أنطق الشعراء والحكماء قبل عصره ، وفي غير عصره ..." .

... "أشهد علي نفسي أني كلما قرأت شعره جاش خاطري ، وثارت عواطفي ، وشعرت بدبيب للعاني والأحاسيس في نفسي وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي ، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري!..." .

(العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي)

تأليف

سيد عبد الماجد الغوري

الناشر

دار ابن كثير ، دمشق - بيروت

Printed and Published by AT HAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Offset Press, Tagore Marg, Lucknow. U.P.
Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi

المجلد ٣ ٤٦

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الرابع | مجلة اسلامية شهرية جامعة | ذو القعدة ذو الحجة ١٤٢١هـ

المجلد السادس والأربعون

في هذا العدد

فإن الذكرى تنفع المؤمنين
شلال الإيمان والإخلاص
وكيف يستفاد منه ؟
دسائس يهودية ،
و واجب المسلمين !
الأقصى يستغيث !
كذبة .. أبريل
الأحرف السبعة للقرآن الكريم
الحج والعمرة
دراسة موجزة
عن مقدمة ابن خلدون
الشعر العربي بخراسان
ختم القرآن الكريم في التراويح
ديسمبر : شهر حقوق الإنسان
بادرة أمريكية جديدة ، وقضية القدس
العلامة القرضاوي :
شخصية العام الإسلامية

تصدرها : مؤسسة الصحافة و النشر
ندوة العلماء ص.ب ٩٣ ، لكناؤ (الهند)

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السادس والأربعون

العدد الرابع
ذو القعدة-ذو الحجة ١٤٢١هـ
فبراير - مارس ٢٠٠١م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد
في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين
زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد
في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم
واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته
ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة
هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة
من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

★ أخي القارئ : (س.أ) ٣
"فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

الافتتاحية :

★ دسائس يهودية ، و واجب المسلمين ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

★ شلال الإيمان والإخلاص ، وكيف يستفاد منه ؟ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) ٩
★ الأقصى يستغيث ! د/محمد السيد علي بلاسي ١٩
★ كذبة .. أبريل د/محمد بن سعد الشويعر ٢٤

الدعوة الإسلامية :

★ الأحرف السبعة للقرآن الكريم (دراسة عميقة متزنة) فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني ٣٣
★ الحج و العمرة الأستاذ محمد يوسف ٤٢

دراسات و أبحاث :

★ دراسة موجزة عن مقدمة ابن خلدون الأستاذ محمد يوسف ٥٨
★ الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي د/محمد مظهر عالم الندوي ٦٣

الفقه الإسلامي :

★ السيدة عائشة رضي الله عنها : القدوة المثلى في العلم والأدب الأستاذ أحمد علي ٧١
★ ختم القرآن الكريم في التراويح الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي ٨١

صور و أوضاع :

★ ديسمبر : شهر حقوق الإنسان الأستاذ واضح رشيد الندوي ٩٠

من أخبار العالم الإسلامي :

★ إدارة أمريكية جديدة ، وقضية القدس الأستاذ عامر حسن (لندن) ٩٦
★ العلامة القرضاوي : "شخصية العام الإسلامية" قلم التحرير ١٠٠

إلى رحمة الله تعالى :

★ الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي في ذمة الله تعالى قلم التحرير ١٠١

★ ★ ★

★ أخي القارئ :

"فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

جاء اليوم الثاني والعشرون من شهر رمضان الكريم لهذا العام ، ومر علينا اليوم الأخير من عام ٢٠٠٠م / فتجددت ذكريات حزينة لوفاة شيخنا الجليل المفكر الإسلامي الكبير ، والداعية الإسلامي الحكيم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) ، فقد كان علماً شامخاً في أرض الهند ، ولكنه كان يطل على العالم كله شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، رافعاً لواء الدعوة إلى الله تعالى ، والفكر الإسلامي الأصيل ، والإخلاص الكامل ، والتجرد عن الدنيا وحطامها ، والتحرق على الأوضاع العالمية ، والقلق الشديد على ما يعيشه المسلمون من تناء عن منبع العز والقوة ، وتكالب على الشهوات ، واستغناء عن الترفع على المغريات ، والأهواء الرخيصة .

أبدى العالم كله - ولا يزال - الشعور بالخسارة الكبيرة ، وباليتم والحرمان ، وتحدث الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم عن الفراغ الذي حدث لفقدانه في مجالات عديدة من العلم العميق ، والإيمان الراسخ ، والفكر السليم ، والرؤية الصادقة نحو القضايا المعاصرة ، والمشكلات المستقبلية ، واستنباط النتائج من خلال الأحداث ، والموازنة بين تاريخ الإنسان الحديث ، والتاريخ الإنساني القديم ، وتفنيد الفلسفات المادية ، والحضارات الانتهازية من وضع الإنسان وفكره المنحرف .

تحدث الناس عن نظره البعيد نحو المستقبل الذي يترقب المجتمعات الإنسانية ، ويدعوها إلى العودة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والالتزام بالدين الأخير الذي جاء به رسول رب العالمين ، خاتم النبيين ، محمد ﷺ ، وشريعته الخالدة المنزلة من عند الله الحكيم الحميد .

تحدث الناس عن شخصيته العملاقة ، وعبقريته الفذة ، وشجاعته الإيمانية ، وغيرته على دين الله ، وتحدث الناس عن مكارم أخلاقه ، ولين عريكته في شئونه الشخصية والاجتماعية ، وعن شدة مراسه ، وقوة عزيمته وتورعه في أمور الدين ، وأحكام الشريعة .

وما زال العالم يردد اسمه الحبيب ، ويذكر مناقبه ومآثره الخالدة ، ويحزن للفراغ الذي حدث بوفاته.

وتلك هي سنة الله في عباده المؤمنين العاملين المخلصين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

[س. أ.]

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

دسائس يهودية

وواجب المسلمين !

في ٢٦/رمضان لعام ١٤٢١هـ قابلني أحد مندوبي الشركات التلفازية ذات البرامج العالمية في الهند ، و وجه إليّ سؤالاً عن المشروب العالمي المعروف بـ (COCA COLA) الذي يسود جميع أنحاء العالم ، ويتناوله الناس على اختلاف طبقاتهم برغبة ومن غير تردد ، سألني عما إذا كانت هناك طبقة من المسلمين تكره استعماله ، بل وتحرمه نظراً إلى المواد المسكرة ، والأجزاء المحرمة التي يحتوي عليها ، وأجبته بالرأي الذي أراه حول الموضوع ، ولكنه قدّم إلي ورقة مكتوبة بعنوان "كوكا كولا" بالحروف اللاتينية ، والخط الإنجليزي ، وأخرى بصورة الخط المعكوسة من اليمين لليسار فإذا بهذه الحروف تشكل صورة : (لا محمد لا مكة) بالخط العربي ، سألني المندوب تصديق هذه الدعوى ، ولما أمعنت النظر في الصورة المعكوسة وجدت أن الكتابة اللاتينية تعود خطاً عربياً مكتوب فيه : (لا محمد لا مكة) ، وليست هذه الصناعة إلا نتيجة الذكاء اليهودي الذي يبذل جميع طاقاته فيما يؤذى المسلمين ، ويخز قلوبهم بشوكات الإهانة والإيذاء ، والنيل من المسلمات والمقدسات ، ولو لا أن (كوكا كولا) من إنتاج شركة يهودية أمريكية ، وهي تتوخى من وراء ترويج بضاعتها تلويث المجتمعات الإسلامية بالحرام ، والمواد المضرة بالصحة ، والمفرزة لميكروبات المرض إلى عقول وقلوب المسلمين في كل مكان ، لكنا قد وجدنا مبرراً في استعمال هذا المشروب الذي يغزو البيوت ، و الفنادق ، و جميع ساحات الحياة ، و ميادين العمل ، بغاية من الاقتناع بنزاهته وبعده عن الشبهات ، ولكنه كان موضع نقاش

بين علماء الشريعة ، والمعنيين بالدعوة منذ مدة غير يسيرة ، والذي لامراء فيه أن (كوكا كولا) ليس مشروباً منعشاً فحسب ، بل هو مزيج مواد لا تخلو عن كراهية على أقل تقدير ، ثم إن اقتناءه بهذا الشكل المدهش في مجتمعات المسلمين ، و استعماله في مجالسهم و مناسباتهم ، إنما يعنى ترويج بضاعة يهودية ، وتعضيدها ضد المسلمين أنفسهم ، ولم يعد سرّاً ما يفعله اليهود ، ويدبرونه لتشويه صورة الإسلام الجميلة والقضاء على المسلمين ، وما يمارسونه من تقتيل وتدمير في فلسطين وأهله المسلمين .

وسؤالاً آخر كان عن أحذية "نائك" (NIKE) شركة أمريكية يهودية ، اشتهرت بصناعة الأحذية التي تنال قبولاً واسعاً بين الجيل الشبابي في العالم كله ، و قد عرض المندوب صورة عكسية من الجزء الأسفل لهذا الحذاء (Sole of Shoe) ، فإذا بها لفظة الجلالة مصوغة في وسط باطن الحذاء الذي يمس الأرض بهذا الشكل [بالكه] ، سألني الرجل عن رأيي في ذلك ، فقلت : إنها نقمة يهودية لا يراد بها إلا الاستهزاء بلفظ الجلالة والدين ، وإيذاء قلوب المسلمين باستخدام آخر سهم كان في جعبة قوم ملعونين ، ليس لهم في الدنيا إلا الخزي والعار ، وفي الآخرة إلا عذاب النار : ﴿ وغضب الله عليهم * ولعنهم * وأعدّ لهم جهنم * وساءت مصيراً ﴾ .

وقد سبق أن الشركات اليهودية في أمريكا ، ودول جنوب شرق آسيا أنتجت ملابس داخلية للرجال والنساء مكتوب فيها كلمة : "لا إله إلا الله" ولفظ الجلالة ، واسم الرسول الكريم ﷺ ، ولم يكن المراد بها إلا إثارة حفائظ المسلمين ، و إيذاء قلوبهم ، و تجريح مشاعرهم مع استهانة خبيثة لكلمة الإسلام ، والبذاءة في شأن الله سبحانه وتعالى ، وخاتم النبيين ﷺ : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

هذه الفئة المغضوب عليها لم تكتف بهذه العمليات الفاضحة ، ولم تحمل هذه القاذورات على رأسها فحسب ، إنما هي مكبة على تنفيذ مخططات سرّية

لهدم كيان الحياة الإسلامية ، وإخراج هيبة الشريعة من قلوب المسلمين ، واستبدال حضارتهم بحضارة إبليسية خبيثة ، وتحويلهم من فطرتهم الإيمانية إلى طبيعة بهيمية وحشية ، لكي يفقدوا ميزتهم الإنسانية والسلوكية ، ويبتعدوا عن طريق الله ، والعدل والصدق ، وبناء الحضارة الإلهية ، وينساقوا مع النفس والشهوات ، ولا تقوم لهم قائمة بخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

واليوم تستخدم اليهودية العالمية وسائل الإعلام ، وتسيطر عليها لمجرد تحقيق هذا الغرض الخبيث ، و إن كانت بالأمس تركز على الجانب الاقتصادي ، وتهيمن على الاقتصاد العالمي ، فكان العالم كله خاضعاً للسياسة الاقتصادية اليهودية ، وينظم عليها جميع الشئون المالية ، والتجارية ، والمصرفية ، ولما نجحت اليهودية العالمية في الاستيلاء على منابع الثروات ، وطريقة توزيعها ، وإنشاء عقلية ربوية بتعميم الربا في جميع المعاملات المالية بواسطة المؤسسات التجارية ، والبنوك ، ودوائر الصرف ، أقبلت الآن على غزو عقول المسلمين في العالم كله بواسطة تغيير الفكر ، وتغسيل المخ ، وذلك بالسيطرة الإعلامية على الصعيد العالمي ، واستخدام أجهزة الإعلام السمعية والبصرية ، وما والاها من الوسائل الإعلامية ، ومن هنالك أصبح الإعلام اليوم كله يهودياً ، وهو قائم بكل جدية وقوة كبيرتين بوضع برامج هدامة للعالم الإسلامي ، وتوجيهها إلى الجيل المسلم الشاب ، والأسر المسلمة الملتزمة ، والنتائج التي تتجلى بتأثير هذه البرامج هي في غاية من السوء .

من هنا نستطيع أن نقدر مدى ما وصل إليه اليهود من تنفيذ مخططاتهم ، وتنسيق برامجهم ضد العالم الإسلامي بوجه خاص ، وهم لا يبالون بارتكاب أي جريمة مهما كانت بالغة من الوقاحة والشناعة إلى أرفع مبلغ ، وقد سجل التاريخ قديماً وحديثاً قصص الذلة والمسكنة التي عرفوا بها ، والحكايات التي تؤشر إلى نواياهم الشريرة نحو الإنسان المسلم ، إذن ليس

من المستغرب أن تعيش الفئات اليهودية كلها حياة المكر والخداع ، والغش والخيانة ونهامة المال ، ونشر التعامل الربوي على أوسع نطاق بحيث لا يتوقى منه أي فرد من أفراد البشر ، وفوق كل ذلك تجريح كرامة المسلم ، وتسليط الحروب على المجتمعات ، ولا سيما المجتمعات ، والدول الإسلامية ، والنيل من الشخصيات المختارة ، وهدم المقدسات الإسلامية ، ولم يعد سراً ما تقوم به من عمليات التقتيل والتشريد والاحتلال والنهب والتهديد في فلسطين ، وما يجرى اليوم في العالم كله ضد الإسلام والمسلمين من تحركات مرذولة ، وإثارة للفتن والمشاكل ، ليس إلا من وحي اليهود ، وصنيعهم الشنيع ، الواقع الذي لا يرمز إلا إلى طبيعة الخسة والذلة التي هي الميزة البارزة لديهم .

وهناك ناحية أخرى مهمة تدعو إلى التفكير والاهتمام البالغين ، وهي غياب الأمة الإسلامية عن الساحة الحضارية ، وانسحابها عن ميدان العمل القيادي للعالم البشري ، وتنازلها عن منصب الخلافة والقيادة بالاقتناع بالسير وراء القيادات المشبوهة المعادية ، وتقليد الحضارات المادية التي روجتها اليهودية العالمية ، وأرغمت المجتمعات الإنسانية على اتباعها وصهر الحياة في بوتقتها ، ولعل استكانة المسلمين وانزواءهم عن أداء الواجب في مجال العلم والدعوة والتربية ، هو السبب الرئيسي لما يواجهونه من الإساءة والإيذاء ، والمخاوف والأخطار المنوعة على جميع المستويات ، وفي العالم الإسلامي كله .

إن ما جاء في كتاب الله تعالى عن إبليس الذي أبي أن يسجد لآدم ، حينما أمر الله تعالى الملائكة بذلك ، إنما يشير إلى أن اليهود هم في الواقع خلقوا على جبلة إبليس بإزاء آدم ﷺ ، وهم ينتمون إلى ذريته بدون شك ، وإذا قمنا بموازنة بين طبيعة إبليس ، وطبيعة اليهود في العناد والحقد والحنق ضد المسلمين وجدنا شبهاً كبيراً بين الطبيعتين ، انظروا ! كيف يتحدث القرآن الكريم عما أمر الله به الملائكة ، فأطاعوه إلا إبليس أبى إلا أن يعصي ولا يطيع أمر الله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم * فسجدوا إلا إبليس * قال : أ أسجد لمن خلقت

طيناً * قال : أرأيتك هذا الذي كرّمت علي ؟ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً * قال : اذهب * فمن تبعك منهم * فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً * واستفزز من استطعت بصوتك * وأجلب عليهم بخيلك ورجلك * وشاركهم في الأموال والأولاد * وعدهم * وما يعدهم الشيطان إلا غروراً * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان * وكفى بربك وكيلاً ﴾ [سورة الإسراء/٦١-٦٥] .

من خلال هذه الموازنة نستطيع أن نتوصل إلى الأواصر الطبعية التي تربط اليهودية العالمية بالإبليسية المتكبرة التي تولدت منها ذرية الشيطان ، وتولت قيادة الإنسان إلى المهالك والمعاصي والشقاء من كل نوع ، ولذلك فإن المسئولية تتجه إلى الأمة الإسلامية التي حادت عن الطريق ، لكي تعود إليه ، وتعتصم بحبل الله ، وتأخذ الصراط المستقيم لها طريقاً في جميع الأحوال والظروف ، وتبرز إلى ميدان القيادة العالمية كخير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، فذلك هو الطريق المودي إلى السعادة والعز والفلاح ، والوصاية على العالم كله - بإذن الله تعالى - وذلك هو السرّ في الفوز بقيادة الإنسانية وإنقاذها من الحيرة والشقوة اللتين تعيشهما ، ومن ثم أنزر الله سبحانه عباده المؤمنين بما إذا كانوا كالذين نسوا الله ، فأنساهم أنفسهم ، و وصفهم بالفسق ، فقال : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله * فأنساهم أنفسهم * أولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة الحشر . الآية/١٩] .

ومهما عمل المرء من عمل يعلمه الله ، ويراه الناس ، ثم يُجزى بحسب ذلك،إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿ فمَن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره * ومَن يعمل مثقال ذرةٍ شرّاً يره ﴾ .

ويقول الله تعالى : ﴿ وقل : اعملوا * فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون * وستردون إلى عالم الغيب والشهادة * فيُنبّئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

٢٨ رمضان ١٤٢١هـ

التوجيه الإسلامي :

شلال الإيمان و الإخلاص

و كيف يستفاد منه

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

[محاضرة ألقيت بجامعة صنعاء في ١٤/من شعبان ١٤٠٤هـ (١٥/مايو ١٩٨٤م) أمام جمع حاشد من الطلبة والمثقفين من أهل العاصمة لليمن الشمالي ، وقد غصت القاعة بالحاضرين وامتلأت الساحة الخارجية بالمستمعين ، نتحفها إلى قرائنا الكرام]

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

سادتي وإخواني ! لقد تقدمت الصناعة والمخترعات تقدماً كبيراً ، واخترعت الأشياء التي لم تكن تخطر بالبال ، ولكن لم تخترع إلى الآن آلة تكشف عن مدى السرور ، وموجة الفرح التي تغمر القلب ، وليس من الممكن أن يضع الإنسان قلبه أمام الإخوة حتى يعرفوا ما يجيش في القلب ، ولكن بالله الثقة ثم بحبكم وبعاطفتكم الإسلامية في أن تقيسوا وتعلموا مدى سروري لرؤية هذه الجموعة الطيبة من الشباب المسلم فهم الجيل المرتقب وأمل الإسلام والمسلمين في هذه البلاد .

إخواني ! كلكم تعرفون الشلال الذي ينبع من الأرض ، يتدفق بقوة ، على الأرض ، وهنالك شلالات تتدفق وتنزل منذ آلاف من السنين ولكنها لم تستخدم في صالح الإنسانية وصالح المدنية ، ومنها ما هو مجهول ومنها ما هو مهمل ، إنني زرت "كنادا" ، و زرت "تورنتو" مدينة كنادا التي يقع فيها (Niagara Fall) يعني "شلال نياجرة" ، فرأيت العجب ، رأيت هذا الشلال الذي يعتبر من عجائب العالم السبع ، ينزل من ارتفاع كبير (١)

(١) ينزل هذا الشلال من ارتفاع ١٠٨/متر ، وارتفاع الماء ٥٤/متر .

لا يقاس حتى يراه الإنسان ، وهو ينزل على الأرض منذ آلاف من السنين بقوة عجيبة ، ولكن البلاد التي وضع الله فيها هذا الشلال قد وفقت لتستخدم هذا الشلال الطبيعي في صالح الإنسانية وفي صالح المدنية ، فتأخذ منه القوة الكهربائية (١) ، التي تستطيع أن تنير هذه البلاد وتملأها حرارة ودفئاً ، وهنالك طاقات جبارة وثروات هائلة لم ينتفع بها الإنسان بعد في كثير من البلدان ، فهي ضائعة مهجورة مظلومة .

ولكني أريد أن أحدثكم عن شلال لا يقاس به هذا الشلال الكنيدي في القوة والتأثير ، والفائدة التي تعود على الإنسانية ، ذلك هو شلال الإيمان والاخلاص والحماس ، الذي أكرم الله به الأمة الإسلامية بصفة عامة ، وأكرم به بلادكم بصفة خاصة ، وشهد بهذا الاختصاص لسان النبوة الذي كان مجرى الوحي ، لقد شهد بهذا الشلال الإيماني الذي أكرم الله به القطر اليماني محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي النبي العربي ﷺ بقوله لما جاء ، وفد من اليمن : "أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان والحكمة يمانية" (٢) .

إن الدول الكبيرة والبلاد الراقية المتحضرة التي تقود الآن ركب الإنسانية بجدارة أو من غير جدارة ، وبحق أو من غير حق ، والتي تزعمت الحضارة ومصاير الأجيال البشرية ، عندها كل شئ ، ولكنها لا تملك هذا الشلال الإيماني ، إنها تجردت - على مدى التاريخ - من الاخلاص لله تبارك وتعالى ، ومن التسامي على المصالح الفردية والجماعية والحزبية ، والسياسية المحدودة ، إنها وإن بلغت قمة الرقي والحضارة ، وتملك الشئ

(١) ويهيأ منه خمسة ملايين من القدرة الحصانية (Horse Power) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : "قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، وفي رواية أخرى للبخاري : "والفقه يمان والحكمة يمانية" (الجامع الصحيح للبخاري : ج/٢) .

الكثير من أسباب الرفاهية ومظاهر المدنية ، والطاقات العلمية والفكرية ، ولكنها لا تملك هذا التدفق الإيماني وعمقه وأصالته التي يملكها الشعب الإسلامي المؤمن ، ولا تملك سلامة القلوب وصفاء الصدور والحب البريئ البعيد عن الأغراض والفوائد ، والشوق إلى الجنة والحنين إلى الشهادة ، والإيمان والاحتساب ، ورجاء الثواب على الأعمال الحسنة ، إن المعسكرين الغربي والشرقي يفترقان في أشياء كثيرة ، ولكنهما يلتقيان على أن زعماءهما وأقطابهما لا يملكون السيطرة على القلوب والحب والاحترام في النفوس ، والولاء الصادق ، البعيد عن الاعتبارات السياسية والمصالح الفردية والجماعية ، والدوافع الدينية النابعة من أعماق القلب لفعل الخير .

أنا تكلمت على غلوة سهم من البيت الأبيض (White House) في واشنطن في أمريكا وكنت أتمنى أن يصل صوتي إلى البيت الأبيض وإلى صاحبه قلت :

"أيها السادة ! إن لكم مساهمة فعالة كبيرة القيمة للنهوض بالشعوب الشرقية ، ولكني أقول لكم : إن هذه الشعوب التي تنفقون عليها ملايين الملايين لا تحبكم ، إنها لا تتمنى لكم السعادة ، إنها تتمني لكم كل عثرة وتتربص بكم الدوائر وتشمت بكل ما يصيبكم من أحداث وتشفي نفسها بذلك ، إنها تنعم في ظل مساعداتكم ، ولكنها لا تحفظ لكم هذه اليد ولا تعترف بالجميل ، لأنها تصدر من غير إخلاص ، إنها مساومات سياسية واقتصادية وتجارية ، فهذه الشعوب تأكل من رفدكم وتتطفل على مائدتكم ، ولكنها لا تضمر لكم الاخلاص والحب ، لماذا ؟ لأن عطاءكم الحضاري وما تغمرون به ، لا تصدر عن أعماق القلب ، إنها كلها مساومات ومبادلات تجارية" .

إن الإيمان والحب العميق الذي يضمره الشعب المسلم للقادة المؤمنين الصالحين لا يوجد له مثيل أبداً ، لا في المعسكر الغربي ولا في

المعسكر الشرقي ، فهنا نفاق وسياسة فقط ، إن هذه البلاد فقيرة مفلسة في هذا الإيمان مفلسة في هذا الحب ، مفلسة في هذا الحماس ، إن هنالك أنشطة الدعايات والصحافة ووسائل الإعلام والجامعات والمؤسسات ، كل ذلك قد ربط هذه الشعوب برباط صناعي لا ثقة به ، إذا استطاعت أن تكسر هذه الأغلال فإنها في أول فرصة تكسرها ، وتقرأون أخبار الثورات والمؤامرات والمحاولات لقلب الأوضاع كل يوم ، ولكن رباط الإيمان الذي كان يربط الأمة الإسلامية برسولها الأعظم ﷺ ، ثم بالخلفاء الراشدين ، ثم بالقادة المصلحين ، ثم بالعلماء الربانيين ، ثم بالزعماء المخلصين ، هذا الرباط القوى الأمين الوفى العميق المحكم لا يوجد له نظير ، وصدق الله العظيم : ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم * لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم * ولكن الله ألف بينهم * إنه عزيز حكيم ﴾ [الأنفال/٦٣] .

ولكنى أقول لكم والحزن يملأ قلبي ، إن هذا الشلال الإيماني الذي أكرم الله به أرض الجزيرة ، أكرم الله به أرض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، أرض أنصار الرسول ﷺ ، وأرض دعاة الاسلام وحملة مشعله في العالم ، إن هذا الشلال من الإيمان والاحتساب ، ورجاء الأجر والثواب ، والشوق إلى الجنة والحنين إلى الشهادة والحب لله ولرسوله وللمؤمنين ، لم يستخدم بعدُ ولم يقتبس منه هذا التيار المضيئ المنير ، القوي المفيد ، هذا التيار كان يستطيع أن يملأ العالم كله نوراً وبهاءاً ، ويحل كل مشكلة ، ويتغلب على كل معضلة ويربط القلوب بعضها ببعض ، والشعوب بعضها ببعض ، والمجتمعات بعضها ببعض ، ويزيل كل المشاكل الإنسانية ، ولكنه شلال مظلوم ، إنه ضائع من قرون .

إن من المؤسف والمحزن أن كثيراً من قادتنا إلى الآن ما عرفوا مدى قوة هذا الإيمان ، مدى قوة هذا الرباط ، مدى قوة العقيدة الإسلامية ،

لم يعرفوا إلى الآن هذه القوة الكامنة في النفوس التي وضعها الله عن طريق الرسالات السماوية ، والنبوات الصادقة وجهود المخلصين في قلوب المؤمنين إلى الآن ، ما عرفوا قيمة هذه الطاقة البشرية الهائلة إن الطاقة النووية لا تساوى الطاقة التي يحملها قلب المؤمن ، هذه الطاقة التي ولدت عالماً جديداً ، وأرغم التاريخ على أن ينحو نحواً جديداً ، إنها جعلت الأشياء التي كان لا يتخيلها الإنسان حقائق واقعية .

مع الأسف الشديد أن قادة الفكر والرأي في كثير من البلاد الإسلامية لم يكتشفوا بعد هذه الطاقة ، بل إنهم مع الأسف الشديد يرون في هذه الطاقة أكبر خطر عليهم ، فهم في حرب معها ، وإنهم يعتبرون هذه البقايا الإيمانية التي لا تزال تحملها الأمة الإسلامية رواسب تاريخية ، وقد يسمونها أنقاضاً تاريخية وخرائب يجب نقلها وإزالتها ، فأكبر مجهودهم ، وأكبر ذكائهم بل وعبقريتهم تصرف إلى نقل هذه "الأنقاض" وإلى الآن لم ينجحوا في ذلك ، بل باءت مساعيهم بالفشل والاخفاق ، لأنهم يعارضون طبيعة الأمة ، ويغالطون نفوسهم في الحقائق ، ويريدون أن يقضوا على مجهودات قرون ، أنهم في جهاد في غير عدو ، لأنهم يرون في الإيمان الذي لا يزال الشعب المسلم في بلادهم يحمله ويتصف به ، الخطر الداهم والعدو المنافس لهم ، مأساة لا أقول مأساة إيمانية فقط ، بل هي مأساة عالمية إنسانية أن لا يستفاد بهذه الطاقة .

والله إن شعوبنا المسلمة الوادعة السليمة التي تؤمن بالله ورسوله ، وتؤمن بأن الآخرة خير من الأولى ، والتي تؤمن بأن العاقبة للمتقين ، والتي تؤمن بأن النصر للمؤمنين ، والتي تؤمن بأن هذه الدنيا فانية عاجلة ، والتي لا تزال ترى في ما وعد الله به عباده المؤمنين من نعماء الجنة وفضل الشهادة في سبيله ما لا تراه الشعوب الراقية في لذات هذه الدنيا ، وتترنح أعطافها وتخفق قلوبها مما يتلى عليها من القرآن ، ويذكر لها من

مبشرات الرسول ومواعيده ، فتنسى نفسها وتهب حياتها لله ولرسوله ، إن هذه الشعوب تتصف بصفات من الرجولة والبطولة والمروءة والفضيلة والسمو الخلقي تتجرد عنها غالب الشعوب المتحضرة الآن ، إذا رزقت هذه الشعوب قائداً مخلصاً وفياً يعرف قيمة هذه الطاقة ، قيمة هذا الإيمان الذي لا تعطيه إلا النبوات ، لا تعطيه إلا التربية الربانية لا يعطيه إلا الإخلاص ، إن هذا الإيمان لو كان عشر معشاره عند الأمم الأوربية لجعلت العالم غير العالم ، ولكنها دائماً تنتقل من مشكلة إلى مشكلة ، إنها تنقش الشوكة بالشوكة وضلعها معها (كما يقول سيدنا علي بن أبي طالب) ، فتنكسر هذه الشوكة التي استخدمت لإزالة هذه الشوكة ، وتجتمع شوكة بشوكة ، هذه قصة الحضارة الغربية ، لا تحل مشكلة إلا وتواجه عشر مشكلات ، لأنها تحرم ذلك الإيمان ، وتلك الثقة التي يربط قلب الإنسان بالإنسان ، إنني لا أعرف عالماً بعلم النفس ، وبفلسفة الأخلاق تصور ما قاله القرآن ، قال : ﴿ فلو لا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً * وقالوا : هذا إفكٌ مبينٌ ﴾ [النور/١٢] ، هذا غاية ما يتصوره الإنسان ، يعني "المسلم مرآة المسلم" فإذا سمع مسلم عن أخيه المسلم شيئاً يستعرض نفسه أولاً ، ويقول : أنا لا أستطيع أن أعمله ، أنا أرباً بنفسي وبإيماني عن هذه السفالة ، فكيف يصدر ذلك عن أخي المسلم ؟ ويبادر ، ويقول : أنا لا أصدق أن أخي المسلم فعل هذا ، أي مجتمع في التاريخ قام على هذا التصور الرفيع السامي لأعضاء المجتمع الإنساني !؟

إن قادة الغرب والشرق يريدون أن يملؤا فراغ الإخلاص بالقوة العسكرية ، وبالمخابرات ، والجاسوسية ، فلا يثق إنسان بإنسان في روسيا ، ولا يثق أخ بأخ ، ولا زوج بزوجته ، ولا زوجة بزوج ، قد فقد المجتمع الشيوعي الثقة بالأفراد ، الثقة بأقرب الناس إليهم حتى الجدران لا يأمنونها ، لعل لها آذاناً أو سماعات ، و لعل هنالك مسجلات ، لا يستطيع

الإنسان أن يتكلم في زاوية من زوايا بيته بسره مثلاً أو ينفس عن ضميره الكئيب ، فمن القصص الطريفة أن كلباً جاء من مثل هذه النواحي ، فقدم له الكلاب بنو جنسه ما عندهم من أنواع الطعام ، فإذا هو غير مقبل على أكل هذا يعافه ويزهد فيه ، فقالوا : لماذا لا تأكل ، وأنت ضيفنا ؟ قال : ما لي حاجة في طعامكم ، إني أريد أن أنبح ، قد كنت في بلد لا أستطيع أن أنبح فيه ، فأنا جئت هنا لأنبح ، وهو شئ فطري عندي ، فالطعام لا شأن لي به ، ولكني أريد أن أسلي ضميري وأرضي طبيعتي .

يا إخواني ! اعرفوا نفوسكم قبل أن تعرفوا نفوس غيركم ، اعرفوا ما أكرمكم الله به من ثروات إيمانية ، ومن خصائص كريمة يمانية ، إذا عرفتم نفوسكم فقد عثرتم على الكنز الدفين ، وعلى شلال قوي ، أقوى شلال في العالم ، هذا الشلال الإيماني الذي تستطيعون ، ويستطيع الذين منحهم الله فرص الاستفادة من هذه البلاد الغنية ، يستطيعون أن يقتبسوا منه التيار الكهربائي الذي يستطيع أن ينير ما حولكم من بلاد الله ، وينير العالم كله ، لقد كان سلفكم هم الذين أناروا العالم لأنهم قد اقتبسوا ، وأخذوا هذا التيار الكهربائي من صدورهم المليئة بالإيمان ، وحملوه إلى أقصى الشرق ، إلى الهند ، جاءنا علماء ربانيون منكم فقهاء ومحدثون ومربون ، وأنقذوا الشعب المسلم الهندي من مستنقع الوثنية ، من عبادة البقر والشجر والنهر ، هؤلاء كانوا آباءكم الغر الميامين ، ونحن لا نزال متطفلين على مائدتكم ، ولكن اعرفوا نفوسكم ، أيها الإخوان ! وليعرف قادة البلاد الإسلامية في باكستان ، وفي بنغلاديش ، وفي البلاد العربية ، بصفة خاصة ، ليعرف قادة هذه البلاد ، ماذا يملكونه في هذه الشعوب ، ماذا يملكونه في بلادهم ، هم دائماً ينظرون إلى الخارج ، ليقتبسوا ثمرات الحضارة الغربية ، والعلوم التطبيقية الميكانيكية ، آلات يستوردونها من الغرب ، ولكن هذه الآلات لا تغير مصير الإنسانية ، ولكن الإيمان الذي تحملونه في قلوبكم يستطيع أن يغير مسيرة الإنسانية ، ومن المحزن أن

تنسلخ قرون بعد قرون ، وأن تأتي أجيال بعد أجيال ، وهذا الشلال الإيماني لا يستخدم في صالح البشرية ، وفي صالح هذه البلاد ، إن العالم في حاجة اليوم إلى هؤلآء المؤمنين الذين يتدفق الإيمان من صدورهم ، ويفيض على لسانهم ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، إلى هؤلآء المؤمنين الذين يتجردون عن الأنانيات ، يتجردون عن القوميات ، يتجردون عن الوطنيات ، يتجردون عن الشهوات ، ويخدمون الإنسانية ، وينقذونها من جديد .

إخواني ! إن لسان النبوة لما وصفكم بالإيمان والفقه والحكمة ، فإنه لا يكون شيئاً موقتاً ، لأنه إذا جرى وصف أو شهادة على لسان حكيم ، أو مؤرخ أو بصير أو طبيب ، يكون مقصوراً على ذلك الفرد أو الجيل ، ويكون محدوداً في ذلك الزمان ، ولكنها كلمة النبي الخالد ، النبي العالمي الإنساني ، الذي ختمت به الرسالات ، وأكملت به الأديان والشرائع ، إذا قال : "الإيمان يمان" ، فيجب أن يكون الإيمان يمانياً في كل عصر ، وأنتم بدوركم تغارون على هذه الشهادة والكرامة ، وتحاولون أن ذلك لا يكون مختصاً بزمان دون زمان ، هذه شهادة لكم قائمة مسجلة في التاريخ حفظها الحديث النبوي الصحيح ، فيجب عليكم أن تعتزوا بهذه الشهادة .

إن كثيراً من الشعوب الإسلامية مستعدة للمساومة وللمبادلة معكم ، اعطوها هذه الشهادة الإيمانية ، الشهادة بالإيمان والفقه والحكمة ، وخذوا منها ما شئتم ، وأنا أقول بلسان مسلمي الهند على الأقل ، أقول : خذوا منا ما شئتم من مكتبات ، ومن مدارس ، ومن علوم ، ومن ثروات ، وأعطونا هذه الكرامة التي أكرمكم الله بها : "الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية" ، والله إن كبار الأولياء من هذه الشعوب العجمية مستعدون ليتفاهموا معكم فتعطونهم ، و لكن من المؤسف المحزن أن أكبر جزء من الطاقات البشرية تنفق في إزالة الأنقاض المتخيلة المفروضة .

يا جماعة ! إنها ليست أنقاضاً ، إنها أسس صالحة لبناء الإنسانية من

جديد ، ولبناء الخلق الكريم ، والمجتمع الصالح ، إنها إعلام في متاهات الإنسانية ، إنها ليست أنقاضاً ليست خرائب قد فقدت قيمتها المعمارية ، فقدت قيمتها الصناعية ، لا ، ولكن كثير من زعمائنا يتخيلون ما يعتز به المسلمون في بلادهم من عقيدة وإيمان ، وأخلاق ومبادئ ، ركامات قد فقدت قيمتها وانقضى دورها ، إنهم يعتقدون أن الإسلام بطارية قد نفدت شحنتها ، كثير من هؤلآء يقولون إن الإسلام قد قام بدور عظيم حين كان الإنسان بدائياً ، حين كان الإنسان في سن المراهقة الفكرية ، ولكن الآن نقدم العالم وتقدمت العلوم ، وتقدمت المدنية ، فلا حاجة إليه ، لا ، يا إخواني ! إن هذا الإيمان يستطيع أن ينقذ أمريكا ، يستطيع أن ينقذ روسيا ، يستطيع أن ينقذ الهند البرهمية ، يستطيع أن ينقذ اليابان ، يستطيع أن ينقذ العالم كله ، ولكن الذنب علينا ، الذنب على الذين لم يقيسوا هذا الإيمان إلى الآن ، وهذه القوة بمقياس صحيح ، ولم يزنوا بالميزان الصحيح الأمين ، ليس هذا الإيمان مجرد كلمة ، لا هذا الإيمان يستطيع أن يصنع عجائب ، كما صنع عجائب من قبل ، ويحل كل مشكلات الإنسانية ، لأن كل مشكلات الإنسانية نبعت عن عبادة النفس والشهوات ، نبعت عن الأنانية ، نبعت عن النظر القاصر المحدود ، نبعت عن الحزبية ، نبعت عن شهوة الرئاسة ، والإيمان يستطيع أن يتغلب على كل هذا ، ويصنع من الأمة أمة جديدة ، ومن البلاد بلاداً جديدة ، ومن العهد التاريخي عهداً تاريخياً جديداً ، ولكن أين الذين هم يستطيعون أن يستخدموه في صالح بلادهم ، وفي صالح الإنسانية ؟

هذا هو الفراغ الأكبر الموجود الآن في المجتمع الإسلامي ، كل شئ مهيأ ، وكل شئ موجود ، ولكن لا نجد أحداً يستخدمه ، فأنتم ، يا أهل اليمن ! أيها الإخوة ! أنتم تستطيعون أن تفيضوا على العالم الإسلامي إيماناً جديداً ، العالم الإنساني الآن يلهث ويلهث ، ويقول كما سيقول أهل جهنم : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، واذكروا قول الله : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم * إذ كنتم أعداءاً * فألف بين قلوبكم * فأصبحتم بنعمته إخواناً *

وكنتم على شفا حفرة من النار * فأنقذكم منها ﴾ [آل عمران/١٠٣] .

أنتم أبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ، الذين قال رسول الله ﷺ عنهم : "لو سلك الناس شعباً و وادياً ، وسلك الأنصار شعباً و وادياً لسلكت شعب الأنصار و واديها ، ولو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، والناس شعار ، والأنصار دثار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار" (١) ، أين هذه الشهادات الفريدة ، وأين هذه الكرامات المجيدة لأمة من الأمم ، خصكم الله ورسوله عليه الصلاة والسلام بهذه الشهادات الخالدة ، وبهذه الكرامات المطوقة المشرفة ، فعليكم أن تشكروا هذه النعمة الجليلة التي تكادون تنفردون بها ، ولكن المعول على الشئ الذي أشاد به الرسول عليه الصلاة والسلام لا على الموارد ، ولا على التقدم ، ولا على الحضارة ، المعول على الإيمان ، المعول على الفقه ، المعول على الحكمة .

يا شباب الجامعة ! أنتم تستطيعون أن يكون دوركم أكبر وأسعد على الإنسانية من دور كولمبس الذي اكتشف العالم الجديد ، قارة أمريكا من غير إرادة ، إذا اكتشفتم العالم الجديد في أمتكم وبلادكم ، وفي أرجاء العالم الإسلامي ، وانتفعتم بهذا الإيمان الذي أكرم الله به الأمة الإسلامية ، واستخدمتموه في صالح الإنسانية ، والعالم الإنساني المحتضر ، هذا الإيمان الذي لا يخلقه إلا النبوة ، ولا يخلقه إلا إرادة الله تبارك وتعالى .

هذه كلمتي لكم ، وأنا مغتبط مسرور ، فالله يعلم مدى سروري برؤية هذه المجموعة الغضة الطرية ، الصافية النقية ، الإيمانية اليمانية ، أقول لكم : أخرجوا إلى عالم جديد ، اكتشفوا عالماً جديداً ، ولا تقنعوا بالميسور الموجود ، ابحثوا عن الكنوز الدفينة ، والثروات المطمورة في أرض القلوب المؤمنة .

(١) زاد المعاد .

هذا بيانٌ للناس :

الأقصى .. يستغيث !

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
أستاذ حاسي . أديب وكاتب إسلامي

القدس .. جرحنا .. جرح الإسلام الدامي الذي ينكأ يوماً بعد آخر داعياً إيانا مستصرخاً ومستغيثاً : واقدساه !

هبوا أيها المسلمون لتحرير الأقصى الأسير من دنس اليهود ؛ فإنه لا كرامة لكم بدون إعادة أرض الإسراء ، والمسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين !

ليذكر المسلمون المسجد الأقصى اليوم ، وليعلموا أن القصور والتقصير - في شأن حمايته واسترداده آمناً مصوناً مكرّماً - نقض لعهد عمر بن الخطاب ﷺ ، وصنيع صلاح الدين الأيوبي ؛ إذ أنه في عهده ، وذمة الأمة الإسلامية بكافة شعوبها حكاماً ومحكومين ، سيسألون لم ضيعوه ، وتخلوا عن حمايته ؟ فهو أرض الله وديعة لديهم وهو عرضهم الذي عليهم حمايته ؛ إنه كان غاية مسرى الرسول الكريم ﷺ ، وبدء معراجه ، فهو تاج الأمة (١) .

و ليعلم المسلمون - جيداً - : أن هدف إسرائيل ليس النيل من

(١) من كلمة للمرحوم الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر ، انظر : مجلة : "فجر الإسلام" : ص/٢٤ ، العدد السابع ، رجب ١٤١٦هـ .

المسجد الأقصى وحده أو الشعب الفلسطيني فقط ، إنما الهدف الإسرائيلي الخبيث يمتد لينال من دينكم الإسلامي ، وقرآنكم المجيد ، وتاريخكم وحضارتكم و وجودكم !

بهذا المفهوم يجب أن ننظر جميعاً إلى القضية الفلسطينية .. ذلك أنها لو كانت قضية شعب فلسطين ، أو قضية أرض ؛ لما كانت هناك مشكلة ؟ !! المسألة - بلاشك - أكبر من ذلك بكثير ؛ فقد حصلت شعوب كثيرة على استقلالها .. لكن القضية الفلسطينية ، و القدس عبر التاريخ ، إنما هي قضية الأمة العربية الإسلامية على مدى التاريخ ؛ لأن الذي يهدف النيل من فلسطين ، إنما هدفه الأكبر النيل من الأمة الإسلامية .. (١) .

☆ هدم المسجد الأقصى .. مخطط ينتظر التنفيذ :

توضح التجارب السابقة التزام إسرائيل بالأهداف التي حدّدتها الحركة الصهيونية منذ نشأتها ، إلا أنها تغير الأساليب ، ومراحل العمل وفقاً للظروف الدولية دون أن يصرفها ذلك عن السعي الدائم لتحقيق تلك الأهداف ، ويعتبر المسجد الأقصى المبارك ، والمقدسات الإسلامية من أهم الساحات التي تشهد تطبيق تلك الاستراتيجية المرحلية ، الماكرة . فمنذ الاستيلاء عليها في عدوان عام ١٩٦٧م ، بدأت إسرائيل في تنفيذ سياسة ثابتة ، هدفها النهائي تقويض دعائم هذا الصرح الإسلامي الذي تتعلق به قلوب أكثر من مليار مسلم في العالم ؛ لارتباطه الشديد بعقيدة المسلمين وتاريخهم ، وإقامة ما يسمى عندهم بهيكل سليمان ، خلافاً للوقائع الدينية والتاريخية الثابتة (٢) .

---

(١) من كلمة للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ألقاها نيابة عنه في القاهرة جمال الصوراني في ندوة : "أمن ، وقدسية المسجد الأقصى" ، صبيحة يوم ١٠/جمادي الأولى ١٤٠٩هـ ، انظر : مجلة : "أرض الإسراء" : ص/١٤ ، العدد ١٣١ ، ذي القعدة ١٤٠٩هـ.

(٢) لقد جعل كهنة السياسة الصهيونية اليوم : "هيكل سليمان" كـ "مسمار جُحا" >>>

فباشرت أولاً أعمال الحفر على نطاق واسع ؛ بهدف ظاهري هو البحث عن آثار عبرانية ، أما الهدف الأسوأ ، فهو تصديع أساسات المسجد وتعريضه للسقوط ! ويؤكد ذلك ما أجاب به حاخام الجيش الإسرائيلي السابق الحاخام جورين ، حين سئل عن وسيلة لإقامة الهيكل ، طالما مسجد المسلمين قائم ؟ فأجاب : بأن من الممكن أن يسقط المسجد الأقصى بفعل عوامل طبيعية ! (١) .

وفعلاً وفي الآونة الأخيرة أدخلت إسرائيل الكيمياء لتفتيت الصخور الطبيعية ، وأغلقت المنافذ لصرف المياه في أنفاق القدس القديمة ؛ حتى يبدو انهيار المسجد وباحاته المقدسة عملية طبيعية بفعل عوامل الطبيعة ! (٢) .

وحين فشلت أعمال الحفر أمام مقاومة الرأي العام الإسلامي والعالم ؛ شجعت الصهيونية على محاولة إحراق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩م ، ونسبت هذا العمل الإجرامي لأحد المعتوهين ! وتكررت بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات على المسجد والمصلين !

>>> لهدم "المسجد الأقصى" ؛ زاعمين أن المسجد قام عليه ، وأن الجدار الغربي من الهيكل (حائط المبكي المزعوم) قام عليه الجدار الغربي للمسجد الأقصى ! ونسوا مايلي :

١- أنهم أقاموا حفريات استطلاعية طوال عشرين سنة مضت ، فلم يجدوا أثراً واحداً يؤيد أطماعهم المعلنة !

٢- حكم القضاء البريطاني في سنة ١٩٣٠م بزيف دعوي اليهود المذكورة ، وعدم صحتها ؛ بناء على الأدلة التاريخية الثابتة !

٣- ماذكره علماء الآثار الغربيين ، وخاصة الآثاري الفرنسي "دي سولسي" من أن هناك اختلافاً بيّناً بين الهيكل في أصله ، والمسجد الأقصى ، سواء من حيث المساحة أو الاتجاه !

(١) انظر : جريدة "العالم الإسلامي" : ص/١ ، ع/١٤٦٥ ، ١٤/ربيع الأول ١٤١٧هـ .

(٢) راجع : منشورات جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف ، والمقدسات الإسلامية بحيفا ، والمنشورة على صفحات ، مجلة : "فجر الإسلام" : ص/٢٨ ، ع/٧ ، رجب ١٤١٦هـ .

وفي محاولة لتقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود ؛ أصدرت - مؤخراً - المحكمة الإسرائيلية العليا قراراً بحق اليهود في أداء صلاتهم في المسجد الأقصى المبارك ؛ واستناداً لهذا القرار غير المشروع اقتحم بعض من يسمونهم بالمتطرفين اليهود أسوار المسجد الأقصى ؛ لتأكيد هذا القرار الجائر ! (١) .

☆ إلى المسلمين .. حكّام ومحكومين :

إن ما يقوم به الصهاينة من اعتداءات على ثالث الحرمين ، ومهبط الإسراء ومصعد المعراج ؛ ليكشف لنا عن خبث نية اليهود تجاه المسجد الأقصى ؛ ولعل هذا يظهر لنا جلياً من أفعالهم ، بل ومن تصريحاتهم الجريئة السافرة .

فينقل عن السفاح اليهودي المجرم "مايكل دوهان" أنه صرح عقب اقتراف فعلته الشنيعة قائلاً : "يجب ألا يكون هناك أي مسجد في هذه الأرض حتى يتمكن اليهود من إعادة بناء معهدهم" !

كما يحكى عن اليهودي - مصّاص الدماء - "مائير كاهاني" ، أنه تحدث في نيويورك في مارس ١٩٨٣م أمام ثلاثمائة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودية ، فقال : "إن مجرد وجود مسجد على هضبة المعبد هو تدنيس لها ؛ ولهذا لابدّ من تدمير الأقصى وقبة الصخرة ، و أيّ موقع إسلامي في هذه المنطقة" .

حتى متى تبقي الأمور كما نرى - يا مسلمين - الأمر أصبح جد خطير ؛ فلابدّ من وقفة جادة ؛ وحسبنا صرخة مفتي القدس وإمام المسجد الأقصى في بيان له على صفحات مجلة : "فلسطين الغد"عدد/يونيو ١٩٨٤م ، يقول الشيخ عكرمة صبري في بيانه : إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت فإسرائيل تعلن أن المسجد للمسلمين ، ثم تطلق يد الحركات

(١) انظر : جريدة : "العالم الإسلامي" : ص/١ ، ع/١٤٦٥ ، ١٤/ربيع الأول ١٤١٧هـ .

الإرهابية للاعتداء عليه ، وتواصل الحفريات حول الحرم مما يهدد بانهياره .

ثم أشار الشيخ عكرمة إلى صورة يوزعها الإسرائيليون للقدس بدون المسجد وبدون القبة ، بل حل مكانها في الصورة الهيكل اليهودي المزعوم ، وقال : بأن اليهود يأخذون هذا الأمر بمنتهي الجدّية ، وهم في النهاية يحصلون على مايريدون ؛ فهناك لجنة إسرائيلية عليها تقوم بدراسة تفاصيل إقامة الهيكل ، وإنهم قد جهزوا بالفعل مواد البناء ، والأحجار التي سيستخدمونها في تشييد المعبد .. حتى الملابس التي سيرتديها أحبار اليهود جاهزة !!

فهل بعد هذا البيان من بيان ، وهل بعد هذا التصريح من تصريح ؟ !! الأمر أصبح واضحاً ، والأقوال تصدقها الأفعال .. ولخطورة الموقف و حسّاسيته ؛ فقد أهاب "المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة" في نداء له - مؤخراً - بالمسلمين - حكاماً وشعوباً - أن يستعدوا لمقاومة العدوان على مقدساتهم ، وأن يعلنوا للعالم أجمع استحالة التوصل إلى سلام عاجل ودائم دون عودة القدس الشريف وجوهرته المسجد الأقصى المبارك إلى أهله العرب ، وأن يتحركوا عملياً لإكساب هذا الموقف الجدّية .. كما دعا المجلس الدول الكبرى والمنظمات الدولية الحريصة على السلام أن تدرك أن هذا الهدف النبيل سيظل بعيد المنال إذا استمرت إسرائيل في عدوانها على حقوق الفلسطينيين في وطنهم ، وخصوصاً في القدس الشريف عاصمتهم التاريخية الخالدة .

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة - لا قدّر الله - وأسرعوا لوقف هذا الزحف المغولي الغاشم ، وأنقذوا الأقصى الأسيرمن التدمير وإلا دمّر !! ولات ساعة مندم ، و وقتها لا ينفع الندم .

وبعد ؛ فإن من يملك دولة أو يحكمها سيكتب عنه التاريخ سطراً واحداً أو سطرين أوكتاباً .. أما من يحرّر المسجد الأقصى ، فسيبقي عبر التاريخ مذكوراً محموداً مشكوراً في سجل الخالدين أبد الآيدين !

☆☆☆

" كذبة .. أبريل "

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض

في هذا الشهر يبرز في وسائل الإعلام ، وخاصة في بلاد الغرب ، أخبار عن كذبة أبريل .. وهي متنافيه مع تعاليم ديننا لأن الإسلام دين الصدق والأمانة ، ومقت الكذب وأهله ، وكذبة أبريل واحدة من العادات التي يتبعها عادات كثيرة وسيئة ، لأن محورها الكذب ، والكذب من أشرّ الخصال ، وأسوأ مداخل الآفات .

ففي شهر أبريل ، وهو الرابع من شهور السنة الميلادية الأفرنجية ، يتعمد بعض الناس فيه الكذب ، على سبيل المزاح ، وأحياناً المداعبة ، ونشر المقالب بين الناس ، إما تندّراً أو تغفيلاً ، أو مزج ذلك بنواحي أخرى من أساليب الحياة ، وقد يكون من بين تلك الحالات ما يشبّه بالسيف الذي له حدّان متباينان : ظاهر وباطن ، فالظاهر المزاح ، والتندّر كما يحصل بين بعض الناس ، اقتراناً بهذا الشهر ، فإن كشفت الحالة ، كانت من الأكاذيب التي يجد لها مقترفها تفسيراً ، بأنه في شهر أبريل ، وما هدف القائل إلا توثيق الصلة الأخوية بإزالة الحواجز ، وإن لم تكشف سكت عن ذلك الأمر ، واعتبره مكسباً ، سواء كان ذلك الأمر قولاً باللسان ، أو عملاً بالجوارح مهما كان نوعها أو مالاً ، وينطبق عليه المثل القائل : الصديق المزّاح إن شيف والإراح .

والباطن منبعث من العقيدة ، التي تهدف لأمور وراء الكذب ، فكم سمعنا عن سرقات ، ومن ترويع ، ومن آثار سيئه تركها هذا التقليد : سلوكياً وأسرياً ، واجتماعياً وخلقياً .

وما ذلك إلا أن كذبة أبريل ، عادة قد نشأت في بلاد الغرب ، من منطلق يرتبط تاريخياً وعقدياً ، بهذا الشهر ، الذي هو من أشهُر الرومان ، وهو واحد من أشهر الربيع ، الذي تتفتح فيه الأزهار ، وتتزاوج الطيور ، وتستيقظ الحشرات ، وبعض الحيوانات ، من بياتها الشتويّ الطويل ، لتسعى في طلب الرزق ، ثم التخزين لبيات آخر .. ومثل ذلك الإنسان في سعيه لشئون حياته المختلفة .

إن من يتتبع الكتب العديدة ، التي تهتم العقائد ، وما طرأ على الديانات من دخائل ، ومن يقرأ عادات بعض الشعوب ، التي رصدها المؤرخون ، فإنه سيرى الغربيين خاصّة ، من كتّاب ومؤرخين ، يتحاملون على رجال الكنيسة ، وما يفرضونه على المجتمع عندهم من أمور ، فضلاً عن تشكيكهم في صحة الديانة النصرانية التي هم عليها الآن ، لمخالفتها ما يمليه العقل ، وما تتطلبه الحياة الحاضرة ، المقترنة بماديات العلم ، ونتائج المختبرات والبحوث ..

ولذا كثر نقّاد كتابهم المقدس عندهم ، وصحة وصدق روايته ، يقابل ذلك جهود قوية لإثبات الأسس التاريخية للديانة النصرانية ، وصراع رجالها مع اليهود .

وصراعهم هذا يتّسم بالكذب ، كل من جانبه ، ليؤصل ما قصد إليه ، يقول مؤرخهم "بول ديورانت" في موسوعته التاريخية : عن "هيرود" الأكبر ، كانت أخلاقه مثالاً من أخلاق عصره ، الذي أنجب كثيراً من الرجال ، الذين كانوا أذكياء لا خلاق لهم ، قادرين لا ضمير لهم ، متحدثين لا صدق عندهم ، شجعاناً مجردّين من الشرف ، فلقد كانوا صورة مصغّرة من أغسطس في بلاد اليهود . [قصة الحضارة : ج/١١ ، ص/١٦٤]

كما كانت أسس الصراع بين اليهودية والنصرانية ، ورجال الدين فيهما ، تنطلق من قاعدة راسخة في الكذب ، ولذا حرّكت الحرب الأهلية في

فرنسا بجهود مفكريها ، هذه الجذور ، فصارت ثورة أوربية ضد هيمنة رجال الكنيسة وسلطتهم ، وملاحقة رجال محاكم التفتيش ونفوذهم ، فيستهزئ "ديكارت" بقوله : كيف لي بهذه العقول النّخرة ، التي بليت .

ولقد توسع بول ديورانت في كتابه التاريخي : "قصة الحضارة" ، الذي بلغ المترجم منه ثلاثة وأربعين مجلداً ، في الأجزاء المخصّصة لعصر الإيمان ، عند ما تناول الصراع بين اليهود والنصارى ، وقيصر المسيح ، حيث أبان كما أبان غيره من الدارسين ، أن كبار رجال الكنيسة ، عرف عنهم الكذب ، وتعمّده على الناس ، وأن واحداً من أكبر القائمين على إحدى الكنائس ، أراد أن يبرّر لأكاذيبه لما كثرت واكتشفت : بأننا في فصل الربيع ، وهو الفصل الذي تبتهج فيه الحيوانات والطيور ، بالطريقة الخاصة بها ، وسائر المخلوقات أيضاً لها أساليبها الخاصة في التعبير عن فرحها ومرحها ، ونحن البشر أيضاً الذين يمرّ بنا فصل الربيع ، بين فصلين : الشتاء وثلوجه وبرده ، وما يتركه لدى الناس من كآبة ، والصيف الذي يلفح الناس بحرّه ، فعلينا أن نعبّر عن أنفسنا بهذا الأسلوب ، الذي يعتبر من الكذب الأبيض . [قصة الحضارة : ج/١١ ، ص/١٦٤-١٦٥]

فكان مثل هذا التعليل ، قاعدة استحسنها بعض الناس ، الذين يكذبون لمآرب ، ويستمرؤن الكذب لمصالح ، ولست أدري من أين جاءهم التقسيم هذا عن الكذب .. الذي بدأ يسرى في ديار المسلمين أيضاً ، مثلما سرت عادات كثيرة "منها كذبة أبريل" ، الأبيض و الأسود ، إذْ الكذب واحد ، وهو نقل الشئ على غير صورته .

ونحن المسلمين ، ندين الله بما جاء في مصدري التشريع في عقيدة الإسلام ، على لسان رسول الله ﷺ ، من مقت للكذب ، وأن الله لا يحب الكاذبين ، وأن الكذب من علامات النفاق ، حيث أبانت شريعة الله ذلك للمسلمين ، كما أخبر الله عن المنافقين ، بأنهم في الدرك الأسفل من النار ،

ولا نصير لهم ، لأنهم يكذبون ، ويفترون على الله الكذب ، ويخادعون الله ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .. يقول ﷺ في الحديث الصحيح : "آية المنافق ثلاث أي علامته : إذا حدّث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا عاهد غدر" .

ولذا فإن مفهوم الكذب ، الذي يترتب عليه التعدي على الأموال والأعراض ، وإيقاع المظالم على الآخرين ، والاستهانة بهم ، وترويعهم ، مما يمقته الإسلام ، وينهى عنه ، وهو واحد لا فرق فيه بين كذب أبيض ولا أسود ، ولا أخضر ولا أحمر ، ولا غيرها من الألوان ، حيث نهى رسول الله ﷺ عن الكذب على الصبيان ، ونهى عن الكذب على الحيوان ، هذا فضلاً عن الإنسان .

وتبرير "كذبة أبريل" عندهم ، ما هو إلا موسم يريدون منه ، تنشيط هذه العادة ، وترسيخها لدى الناس ، وحماية ما صدر عنهم ، من أغاليط وافتراءات ، ولتعويد الناس الآخرين هذا المنهج الذي أنكره مفكروهم ، ولذا سميت صفة التعامل الحسن ، والصدق في القول بالأخلاق التجارية ، ونبل الأخلاق وقوة التحمل ، بالأخلاق التجارية أيضاً ، من منطلق المصلحة المادية .

وإذا ما رجعنا إلى ما ذكره "ديورانت" ، في موسوعته : "قصة الحضارة" عن رجال الكنيسة ، وشهرتهم بالكذب ، وهو من ملتهم عليهم شاهد ، فإن بقية الملل من يهودية وهندوسية ، وغيرهما ، تستمرئ الكذب ، حيث إن المندسّين منهم ، في صفوف المسلمين ، شهروا بالكذب على الله ، وعلى رسوله ، وعلى علماء المسلمين ، حيث فسّروا آيات من كتاب الله ، على غير وضعها الحقيقيّ ، كما غيّر أهل الكتاب الكلم عن مواضعه من قبل ، وكما كذبت الأحاديث الكثيرة على رسول الله ﷺ ، رغم الوعيد الشديد ، الذي جاء فيه ، بحديث متواتر : "من كذب عليّ متعمداً ، فليتبوأ

[متفق عليه]

مقعده من النار ، وأخطأ ولو أصاب" .

هذا التأمل الذي يرجعنا للجذور عن تلك الأمم ، وبه نرى تأصّل الكذب الذي جاءهم من الجذور الوثنيّة ، والمخالفة لأمر الله صراحة ، بتعمّد الكذب من كبارهم ، وهذه الجذور سبقت الديانة النصرانية ، إذْ أخذوا ذلك عن العقيدة الزرادشتيّة ، وعن المانويّة ، وإله الظلمة والنور عند الفرس ، وعن تعدّد الآلهة عند الرومان حيث تجري احتفالات دينية ، يتباكون فيها ، حزناً على موت بعض الآلهة في معتقدهم ، كما قال "بول ديورانت" لعدة أيام ، ثم تضجّ أسواقهم بعد ذلك بالفرح المصيّرة عنه أصواتهم وزغاريدهم ، ببعث ما يؤلهون من قبره ، وأن ما قيل عن موته ما هو إلا كذب ، وهذا يتم في فصل الربيع . [قصة الحضارة : ١٦٣/١١]

وهذا مصدر من مصادر فكرهم عن هذه الكذبة المتعارف عليها ، وإن كان ديورانت لم يحدد شهراً بعينه ، إلا أنه قال : بأن هذه الكذبات ، تعمل في العيد الربيعيّ .. ومعلوم أن شهر أبريل في الربيع .

أما المؤرخ الأندلسي الشهير : محمد عبد الله عنان ، فإنه قد ذكر في كتابه : نهاية الأندلس أشياء في نهاية تاريخ العرب بالأندلس ، وتسلّط النصارى عليهم ، في كتابيه : الثالث والرابع من مأسات الموريسكيين ، أو العرب المتنصّرين .

حيث اعتبر من مراحل الاضطهاد والتنصير الإجباريّ : ديوان التحقيق النصرانيّ ، ومتابعة المسلمين ، و ذروة الاضطهاد الذي أوجبت ثورة الموريسكيين ، حيث كانوا ينحفون بدينهم ، أكثر من مائة عام ، فكانوا ينتهجون في ملاحقة المسلمين ، أساليب عديدة ، تعتمد على الكذب كلها ، في المتابعة ، والتحقيق ، والملاحقة الحاقدة ، على الإسلام ، ودفعهم المسلمين على الكذب ، الذي هو منهجهم ، في تعاملهم مع المسلمين ، لأنهم ألفوه مع بني جلدتهم ، بل ومع كل ديانة تخالف الكاثوليكية ، وما يجب أن تسير عليه .

ومع ما مرّ بنا من نماذج ، فإننا لو تتبعنا جزئيات كتب التاريخ ، فإننا سنجد نماذج كثيرة ، جزئية وكليّة ، تُفْصِحُ عن أساسيات هذا المنهج العقديّ ، في كل بلاد لا ترتبط بالإسلام ، عقيدة وشريعة ، حيث يتبع الإنسان هواه ، وما تأمره به نفسه الأمّارة بالسوء ، إذْ للكذب ، كما قلنا من قبل ، جذور بوثنيّات يحاربها الإسلام ، بل إن مبدأ الإسلام ينافى ذلك الأسلوب ، الذي تنفر منه كل الكائنات الحيّة ، لأنه ينافى الفطر السليمة ، يقول سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! اتقوا الله * وكونوا مع الصادقين ﴾.

[سورة التوبة ، الآية : ١١٩]

وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان ، قصصاً و وقائع لكثير من الحيوانات والحشرات والطيور ، بما أعطاها الله من فطرة سليمة ، جعلتها تكره الكذب ، وتجازى عليه بأشدّ العقوبات ، التي تصل إلى التمزيق ، و التفطير حتى الموت ، لمن يمتهن الكذب ، ولمن لم يتحرّ الصدق في أعماله ، في عالم تلك الكائنات ، يقول جلّ وعلا : ﴿ قال : فمن ربكما يا موسى ! قال : ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه * ثم هدى ﴾ . [سورة طه/٤٩-٥٠]

إلا أن بعض البشر ، الذين انقادوا للشيطان وغواياته ، قد أنجذبوا إلى كل أمر يغضب الله عزّوجل ، ومن ذلك الكذب .

والذي ينبغي أن يضعه المسلم نصب عينيه ، ليهتمّ به ويطبقه ، ألاّ ينساق إلى المسارب التي يريد أولئك القوم أن يجذبوه إليها ، حتى ينحرف عن الطريق السويّ مثلما ضلوا من قبل ، ولا يقلدهم في أي أمر ، لأنه مأمور بعدم اتباع طريقهم ، أو الركون إليهم ، حيث أخبر الله عن مقصدهم مع رسول الله ﷺ ، منذ دعاهم للإسلام ، فقال سبحانه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى * حتى تتبع ملّتهم * قل : إن هدى الله هو الهدى * ولئن اتّبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم * ما لك من الله من وليّ ولا نصير ﴾ . [سورة البقرة ، الآية : ١٢٠]

ولذا كان القرآن الكريم ، وهو المصدر الأول للشريعة الإسلامية ، وهو أمكن وأصدق من أي قول بشريّ ، يؤكد لمن يتفهّم معانيه ، أن أهل الكتاب : وهم اليهود والنصارى ، كان من أعمالهم : تحريف الكلم عن مواضعه ، والكذب على الله وعلى أنبيائه .

وليس هذا على الناس فيما بينهم ، حتى تلتمس لهم المعاذير ، كما نرى في قولهم هذه كذبة أبريل ، أو هذه كذبة بيضاء ، أو لا نريد إلا المزاح ، وما إلى ذلك .

إذْ هذا يهون أمره أمام ما هو أكبر منه ، فقد كذبوا على الله جلّ وعلا ، وكذبوا على الملائكة ، وعلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، وغيّروا في شرع الله ، الذي شرع لهم ، قال الله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله * وكذّب بالصدق إذْ جاءه ﴾ [الزمر/٣٢] ، وقال سبحانه : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً * أو كذّب بآياته ﴾ [الأعراف/٣٧] ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

فالقرآن الكريم ملئ بما يفضح خفايا نفوسهم ، وما يريدون بالمسلمين أن ينحرفوا إليه ، حتى يبتعدوا عن دينهم ، كما أنه والسنة المطهرة ، يبيّن ما نطقت به ألسنتهم ، وما لقّنوه للمشركين ، ضد رسول الله ﷺ من عبارات التكذيب ، وما يراد به التضليل .. مما ينبغي معه ، أن يبتعد المسلم عن الكذب جداً أو هزلاً ، وأن ينتهج لنفسه درباً يخالف دربهم ، لأن الله قد هداه لعقيدة تباين ما هم عليه من عقيدة ، والمسلم مأمور بعدم التساهل في الصغائر ، لأنها تجرّ إلى الكبائر ، ومعظم النار من مستصغر الشّرر ، والتساهل يجرّ إلى المحبة والموالاة لهم ، وهذا يخالف ما أمر المسلم به بأن يعرض أموره كلها على مصدري التشريع في الإسلام ، لأنه الدين الذي رضيه الله لخير أمة أخرجت للناس ، ولا يقبل من البشر ديناً سواه ، فما خالفهما يجب نبذة ، وما وافقهما فهو الحق ، وما لم يجد

عليه دليلاً واضحاً ، فقد جاء في هدى رسول الله ﷺ في مثل هذا القول الكريم : "ما رآه المؤمنون حسناً ، فهو حسن ، وما رآه المؤمنون قبيحاً ، فهو قبيح" ، وقيل موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ ، ما يزيل الشك عند من قصر علمه .

☆ خراسة أبناء نزار :

جاء في مجمع الأمثال ، أن نزاراً لما حضرته الوفاة ، جمع بنيه : مضر وإياداً ، وربيعة وأنماراً ، وقال لهم : يا بنيّ ! هذه القبّة الحمراء ، وكانت من آدم - أي جلد - لمضر ، وهذه الفرس الأدهم ، والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم ، وكانت شحطاء لإياد ، وهذه الندوة والمجلس لأنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم ، كيف تقسمون فأتوا الأقصى الجرهميّ ، ومنزله بنجران ، فلما مات تشاجروا في ميراثه ، فتوجّهوا إلى الأقصى الجرهميّ .

فبينما هم في مسيرهم إليه ، إذْ رأى مضر أثر كلأ قد رُعِيَ ، فقال : إن البعير الذي رعى هذا لأعور ، قال ربيعة : إنه لأزور ، قال إياد : إنه لأبتر ، قال أنمار : إنه لشرود ، ثم ساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جمله ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ، قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم ، وهذه والله صفة بعيري ، فدلوني عليه ، قالوا : والله ما رأيناه ، قال : هذا والله الكذب وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم ، وأنتم تصفون بعيري بصفته ، فساروا حتى قدموا نجران ، فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملي ، و وصفوا إلى صفته ، ثم قالوا : لم نره .

فاختصموا إلى الأقصى الجرهميّ - وهو حكم العرب - فقال : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته رعى جانباً وترك جانباً ، فعلمت أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر ، والأخرى فاسدته ، فعلمت أنه أزور ، وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، وقال أنمار :

عرفت أنه شرود ، لأنه كان يرعى في المكان الملتفّ نبته ، ثم يجوزه إلى مكان أرقهم منه ، و أخبث نبتاً ، فقال للرجل ، ليسوا بأصحاب بعيرك ، فاطلبه ، ثم سألهم من أنتم ، فأخبروه ، فرحّب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم ، فقال : أتحتاجون إليّ ، وأنتم كما أرى ، ثم أنزلهم وذبح لهم شاة ، وأتاهم بخمر وجلس لهم ، حيث لا يُرى ويسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحماً أطيب ، لو لا أن شاته غذيت بلبن كلبه ، وقال مضر : لم أر كاليوم خمراً أطيب منه ، لو لا أن حبلتها نبتت على قبر ، وقال إباد : لم أر كاليوم رجلاً أشرف منه ، لو لا أنه ليس لأبيه الذي يدعي له ، وقال أغار : لم أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا ، فسمعهم ، وقال : ما هؤلاء إلا شياطين .

ثم دعا قهرمانة ، فقال : ما هذه الخمر وما أمرها ؟ فقال : من حبلة غرستها على قبر أبيك ، لم يكن عند ما شراب أطيب من شرابها ، وقال للراعي : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هي شاة صغيرة أرضعتها بلبن كلبه ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ، ولم يكن في الغنم شاة وُلِدتْ غيرها .

ثم أتى أمه ، فسألها عن أبيه ، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال ، وكان لا يولد له ، قالت : فخفت أن يموت ، ولا ولد له ، فيذهب الملك .. فخرج الأفعى عليهم ، فقصّ القوم عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم ، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال ، فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فسمي مضر الحمراء لذلك ، وقال : أما صاحب الفرس الأدهم ، والخبار الأسود ، فله كل شئ أسود ، فصارت لربيعة الخيل الدهم ، فقيل : ربيعة الفرس ، وما أشبه الخادم الشمطاء ، فهو لإباد ، فصارت له الماشية البلق من صغار الغنم والنقد ، فسمي إباد الشمطاء ، وقضى لأغار بالدراهم ، وبما فضل ، فسمي أغار الفضل ، وصدروا عن ذلك من عنده . [١/١٥]

☆☆☆

الأحرف السبعة للقرآن الكريم

(دراسة عميقة متزنة)

(٤)

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني
ترجمة : الأستاذ محمد أسجد الندوي

☆ الأحرف السبعة مصونة وباقية أم قد تُركت ؟

والأمر المهمّ بعد تعيين معنى الأحرف السبعة ، هو أن هذه الأحرف السبعة مصونة مستبقاة حتى الآن أم قد تُركت وهُجرت ؟ فهناك ثلاثة أقوال تُحكى من العلماء القدامى :

☆ ١- رأى الحافظ ابن جرير الطبري :

كما سبق فيما قبل أن الحافظ ابن جرير الطبري وأتباعه ، يقولون بأن الأحرف السبعة : هي اللغات السبعة لقبائل العرب ، ولأجل ذلك يقول الطبري : إن اللغات الستة قد اندرست وتُركت وما بقيت إلا لغة واحدة ، وهي لغة قريش ، فإن الناس كانوا يتلون القرآن الكريم على جميع هذه اللغات السبعة إلى عصر خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ، ولكن لما انتشر الإسلام وشاع في عصره من أقصى العالم إلى أدناه ، وانبثت تعاليم الإسلام في كل ضاحية وناحية من البلاد النائية ، وبدأت الخلافات والنزاعات بين الناس لجهالتهم ، و عدم وقوفهم على حقيقة الأحرف السبعة ، وظهر منهم في عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، والتغليط فيما بينهم ، فنظراً إلى هذا الوضع الخطير استشار عثمان ﷺ أصحاب الرّسول الكريم ﷺ ، فجمع الناس على

مصحف واحد ، وحرف واحد ، وهو لغة قريش ، وذلك إشفاقاً منه عليهم ، ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام ، والدخول في الكفر بعد الإيمان ، لكي تقتلع الفتنة عن جذورها ، وينسد باب الشر بأسره ، ثم حرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه ، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه فوافقته الأمة في ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل الرّشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها امتثالاً لأمره حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفّت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحّتها ، وصحّة شئ منها ، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها ، فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ماعداه من الأحرف الستة الباقية (١) .

فموجز القول : إن الأحرف الستة ، قد تُركت واندرست ، وبقي لنا حرف واحد فحسب ، وهو لغة قريش ، أما خلاف القراءات الذي نراه و نجده إلى الآن ، فهو بمنزلة الطرق المختلفة لتأدية حرف قريش ولغتهم فقط .

☆ فكرة ابن جرير رحمه الله وما يعتريها من الخلل والنقص :

أوضح الحافظ ابن جرير فكرته هذه في مقدمة تفسيره بغاية من الجزم والتفصيل ، وتحمّس لها كثيراً ، ولذا نالت فكرته شهرةً ، وقبولاً عاماً لدى الناس ، وبدأوا يفسرون الأحرف السبعة وفق فكرته ورأيه ، مع أن الواقع الذي لايزيله الإنكار هو أن أكثر أصحاب التحقيق (٢) ، من العلماء لم يوافقوها ، بل دحضوها وأنكروها أشد الإنكار لأنها تؤدي إلى تعقيدات

(١) انظر تفسير ابن جرير : ج/١ ، ص/٢٢ ، المطبوع في بيروت .

(٢) نذكر أسماءهم في الصفحات الآتية - إن شاء الله تعالى - .

ومعضلات لا تنحل أبداً ، فأول مشكلة تقوم عليها هي أنها تثبت الفارق بين الحروف والقراءات مع أن هذا الفارق لم يثبت بأيّ حديث من أحاديث الرسول الكريم ﷺ .

والمشكلة الثانية : هي أن الحافظ الطبري يعترف بأن هذه الأحرف السبعة قد أنزلت من قِبَل ربنا جلّ وعلا ، وفي جانب آخر : يرى أن سيدنا عثمان قضى على تلاوة الأحرف الستة بمشورة من أصحاب الرسول ﷺ ، مع أن التأكد بإجماع الصحابة الأبرار على إنهاء الحروف التي كان أنزلها الله لتسهيل عباده ، وتهوين أمرهم إجابة لطلب الرسول الكريم ﷺ كلياً لعسير ومتعذّر جداً ، فإن إجماع أصحاب رسول الله ﷺ لمن أكبر البراهين والحجج في الإسلام ، ولكن ليس من الممكن أن يجتمع أصحاب الرسول ﷺ وأتباعه على إبادة وقمع ما قد ثبت كونه جزءاً للقرآن الحكيم مع التواتر القطعي الحتميّ .

هذه قضية مهمة تضعّف فكرة الحافظ ابن جرير الطبري ، وذكرها الطبري ، ثم أجاب ، فإن قال بعض من ضعفت معرفة : كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ ، وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمر إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك ، كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة مخيّرين بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة ، فإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله ، فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام و أهله أقرب منهم إلى السلامة

من ذلك (١) .

وموجز هذا الجواب هو أن الحافظ الطبري يرى أن الأمة كانت مخيرة في أخذ أي حرف شاءت من الأحرف السبعة مع ما أُمِرَتْ به من صيانة القرآن الكريم ، ولذا انتفعت الأمة بهذا الخيار ، وتركت تلاوة الأحرف الستة ، نظراً إلى المصالح الاجتماعية ، واتفقت على تلاوة الحرف الواحد و صيانته ، فما كان هذا الإقدام لنسخ الحروف الستة ، و لا تحريم تلاوتها ، بل كان تعييناً لحرف واحد لها رعاية لمصلحتها الاجتماعية فحسب .

ولكن لا يخفى على العاقل البصير ما في هذا الجواب من الضعف والخلل ، فإن الوضع إن سُلّم وفق ما ذكره الطبري ، فكان من المناسب أن الأمة ، وإن اختارت حرفاً واحداً لعملها ، ولكنها لم تقم بإبادة وإنهاء الأحرف الستة الباقية من رأسها ، بل قامت بصيانتها والحفاظ عليها ، لكي لا تبيد وتنتهي ، لأن الله نفسه صرح في كتابه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر * وإنا له لحافظون ﴾ فالآية تدل على أن كل هذه الأحرف - وهي من القرآن إجماعاً - لا تزال باقية ومصونة أبد الدهر حتى الساعة ، بل لا تندرس قطّ ، وإن ترك الناس تلاوتها .

وقدم الحافظ ابن جرير الطبري نظيراً في تأييد ما رآه : أن القرآن الكريم خيّر عباد الله المسلمين في كفارة الأيمان والأحلاف الكاذبة بين ثلاثة أمور ، إما أن يعتقوا العبد أو يطعموا عشرة مساكين أو يكسوهم ، فإن اختارت الأمة أحداً من الثلاثة ، وقامت بالعمل به بدون القول بتحريم الأخرى الباقية لكان عملها صواباً مباحاً لا يضادّ الشرع قطّ ، فكذا إذا اختارت الأمة حرفاً من الأحرف السبعة للعمل به وتلاوته بالنظر إلى

(١) تفسير ابن جرير : ج/١ ، ص/٢٢-٢٣ .

مصالحها الاجتماعية لكان أصوب وأصحّ ، ولكن هذا الاحتجاج بالنظير لا يجدى شيئاً لأن الأمة إذا اختارت أحداً من الاختيارات الثلاثة في كفارة اليمين بحيث لم تقل بتحريم الأخرى الباقية ، ولكن اندرست بهذا الاختيار الصور الأخرى عملياً ، ولم يبق لها أيّ وجود ، ولم يعرف الناس إلا أن كان هناك أمران آخران لكفارة اليمين ، فتركت الأمة العمل بهما ، ولكن لم يعلم أحد عن ذينك الأمرين ، ما هما ، وكيف العمل بهما ؟ فلا مجال إذن للأمة بهذا الإقدام قطّ .

ثم هناك سؤال يرد على الحافظ الطبري ، وهو : أي حاجة تمسّ إلى ترك الأحرف الستة الباقية وهجرها ؟ فذكر الحافظ أن المسلمين كانوا واقعين في شباك النزاعات الشديدة بهذه الخلافات في الأحرف ، ولذا تراءى لعثمان بعد التشاور مع أصحاب الرسول الكريم ﷺ أن يوحّد الأمة ويجمعها على حرف واحد .

ولكن هذا السبب يتعرض للنقص والخلل أيضاً ، فإن اختلافات المسلمين فيما بينهم لأجل الخلاف في الأحرف ، قد وقع مراراً في العصر النبوي المبارك ، فهناك كثير من الروايات توحى إلى أن صحابياً سمع الآخر يتلو القرآن على طريق مختلف منه ، فوقع بينهما خلاف ونقاش ، حتى قد ورد في البخاري أن سيدنا عمر الفاروق ألقى الرداء في عنق هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، وجرّه إلى الرسول الكريم ﷺ ، ورُوي عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه : أنه لما سمع هذه الخلافات الحرفية أحاط بقلبه عديد من الشبهات والشكوك القوية ، ولكن لما كثرت الخلافات أخبر الرسول الكريم ﷺ أصحابه بالترخيص والتسهيل في الأحرف ، ولم يقم بإنهاء الحروف وإبادتها ، ولذا لم ينهض أيّ شرّ ، ولم ينفتح باب الفتنة على مصراعيه ، ففي ضوء هذا العمل النبوي لا نتجرأ قطّ بأن نقول : إن أصحاب الرسول الكريم ﷺ المعروفين في اتّباع الرسول الكريم ﷺ لم

يحتذوا حذوه ولم يتبعوا سنته وهديه ، بل قد أجمعوا على إنهاء الأحرف الستة والقضاء عليها - سبحانك هذا بهتان عظيم - وهذا ما لا يوافقه العقل والمنطق .

ثم أعجب العجائب هو أن أصحاب الرسول وفق ما رآه الحافظ الطبري أنهوا الأحرف الستة درءً للفتنة ، ودفعاً للنزاع ، وأبقوا القراءات (التي هي شئ آخر سوى الحروف) على أصلها كما كانت ، فإنها مصونة باقية حتى الآن ، فهل المخاطر والتخوفات للفرقة والاختلاف التي كانت موجودةً في إبقاء تلاوة القرآن الكريم على الأحرف المختلفة .

قد انعدمت وانقضت في إبقاء اختلاف القراءات ؟ مع أن القارئ ربما يقرأ كلمات القرآن بطرق مختلفة نيفة على العشرين في ضوء هذه القراءات ،فإن كا الغرض لإنهاء الأحرف السبعة ترسيخ جذور الوحدة والوئام ، وجمعهم على تلاوة القرآن بطريق واحد ، وتحذيرهم عن الجدال والشقاق ، فلماذا لم تصرف العنايات ، ولم تركز الجهود على القضاء على اختلاف القراءات ؟ ولما كان من الممكن كفّ المسلمين وصدّهم عن الفرقة والخلاف رغم اختلاف القراءات وإفهامهم بأن تلاوة القرآن الكريم مباح وحلال في جميع هذه الطرق ، فكيف تسبب اختلاف الأحرف السبعة للفتنة لديهم ؟ لأنهم مثلما رأوا إفهام المسلمين في خلاف القراءات ، كذلك كان من الممكن إفهام المسلمين في خلاف الأحرف .

فالواقع أن الأخذ بقول الحافظ ابن جرير الطبري يؤدي إلى نسبة الازدواج العملي المدهش لأصحاب الرسول الكريم ﷺ ، وهذا ما لا مبرر له لدينا قطّ .

ثم نسبة هذه الخطوة الهائلة إلى سيدنا عثمان ﷺ ، وأصحاب الرسول الكريم ﷺ الآخرين ، لم تكن مؤيدة بالروايات الصحيحة والصريحة ، بل قد تمت بالتفسير القياسي لبعض الكلمات المجملة ، فإن

الروايات التي وردت فيها قصة جمع القرآن في عصر سيدنا عثمان ﷺ ، لا تصرح أبداً بأن سيدنا عثمان كان أنهى وقضى على الأحرف الستة ، بل هناك عديد من الدلائل التي تخالف هذا الرأي ، كما نذكرها بعد ، فكيف يمكن بدون الاتكال على الروايات الصحيحة والصريحة أن يقال : بأن الصحابة الكرام رضوا وطابوا نفساً بإزالة ، وإنهاء تلك الأحرف الستة التي كان أنزلها الله قبولاً لطلب رسوله الكريم ﷺ المخلص المتكرر .

لأنهم هم الذين اقتفوا آثار الرسول الكريم ﷺ وساروا سيرته الغراء ، ولم يتحملوا أدنى ترميم وانحراف عن هديه بحيث قد تلعثموا وترددوا في عمل جمع القرآن الكريم ، وترتيبه الخيري ، نظراً إلى أن الرسول الكريم ﷺ لم يقم بجمعه وترتيبه ، وهم الذين قضوا أعمارهم وبذلوا جل أوقاتهم لصيانة كل كلمة وحرف من كلمات القرآن الكريم وأحرفه .

وبلّغوا الآيات المنسوخة التلاوة إلى الأمة ، لكي لا يضيع أي جزء من القرآن الكريم ، فكيف يمكنهم أن يجتمعوا ويرضوا بإنهاء الحروف الستة بحيث لا يبقى لها أي اسم ورسم ، وأمارة وأثر ، بل إنهم صانوا الآيات المنسوخة التلاوة ، وأخبرونا بها ، فما السبب بأن الأحرف التي اعترف بعدم نسخها الحافظ الطبري ، ورأى بإنهاء كتابتها وقراءتها لأجل المصالح الاجتماعية ، لا يوجد لها أيّ نظير ومثال في أيّ حديث ، ولو ضعيف .

ولذا قام أكثر العلماء المحققين بالردّ على قول الحافظ ابن جرير الطبري (رحمه الله) ، سنذكر بعض تفاصيله في الصفحات الآتية - إن شاء الله -.

☆ ٢- رأى الإمام الطحاوي رحمه الله :

كما مرّ سابقاً أن الإمام الطحاوي يرى أن القرآن الكريم نزل على لغة قريش فحسب ، ولكن الله راعى بمصلحته الحكيمة التسهيل على عباده ، فأذن لهم بتلاوته بالكلمات المرادفة لأصل القرآن الكريم وفق لغاتهم

القبلية ، وكان الرسول الكريم ﷺ نفسه قام بتحديد هذه المرادفات ، وكانت مقتصرة في السبعة ، وعبّر الرسول الكريم ﷺ هذا الإذن لتلاوة الكتاب الحكيم بالمرادفات بقوله : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" ، ولكن - كما ذكرنا فيما قبل - هذا الإذن كان خاصاً ببدء الإسلام ، فلما تعود العرب لغة القرآن نهى الرسول الناس عن تلاوة القرآن بالمرادفات ، ولما تلا النبي الكريم ﷺ في آخر عمره أمام سيدنا جبريل نَسَخ هذا الإذن ، وبقى الآن الحرف الواحد الذي كان القرآن نازلاً به ، وهو حرف قريش ، أما المرادفات الستة فقد أُلغيت ونُسيت .

هذا الرأي أصوب وأصح بالنسبة إلى رأى الحافظ ابن جرير الطبري ، لأنه لم ينسب فيه ترك الحروف الستة وإنهائها إلى أصحاب الرسول الكرام ، بل النسخ قد نُسب فيه إلى عصر الرسول الكريم ﷺ ، ولكنه - مع هذا كله - ليس بنزيه عن جميع الشبهات فيعتمد عليه كلياً ، بل قد يتوجه إليه بعض الشُبه أيضاً .

فإن هذا الرأي يؤشر إلى أن الأحرف الستة ، لم تكن منزلة من الله عزوجل ، مع أن الوقعة الخلافية التي حدثت بين عمر ﷺ وهشام تلا فيها هشام أمام الرسول الكريم ﷺ سورة الفرقان ، وفق طريقه الذي كان يتلو القرآن فيه ، فقال الرسول الكريم ﷺ : "هكذا أُنْزِلَتْ" ، ثم لما تلا عمر ﷺ بطريقه الآخر ، قال الرسول الكريم ﷺ أيضاً : "هكذا أنزلَتْ" (١) ، فالحديث يكشف الأمر ويبينه صريحاً بأن كلا الطريقين كان منزلاً من الله تعالى .

والشئ الثاني : هو أن مكانة القراءات ومنزلتها لا تتضح أيضاً ، وفق هذا الرأي مثل رأى الطبري ، فلم يتعين به دخول القراءات في

(١) صحيح البخاري : كتاب الخصومات مع عمدة القارئ للعيني : ج/١٢ ، ص/٢٥٨ ، مطبوع المكتبة الميمنية - مصر .

الأحرف السبعة أو خروجها ، فإن سُلّم بدخولها في الأحرف السبعة ، فكان مؤدياً إلى القول بأنها أيضاً ليست منزلة من الله ، ونعوذ بالله منه ، مع أنه مضاد للإجماع الصريح ، وإن سُلّم بعدم دخولها في الأحرف السبعة ، فليس هناك دليل يدل على وجودها المستقل المنفرد ، ولذا لا يطمئن القلب ولا يثلج الفؤاد بهذا الرأي أيضاً .

☆ ٣- التفسير الأرجح الأصحّ : القول الثالث : الذي نذكره مقنع وشاف بالنسبة إلى الآراء الأخرى ، وهو أن الأحرف السبعة ، كما ذكرنا تعنى الكيفيات السبعة المختلفة لاختلاف القراءات ، ولذا ما زالت ولا تزال مصونة باقية ، ومتلوة حتى الآن .

نعم : هناك فرق يسير وبسيط : وهو أن عدد خلاف القراءات كان أضعافاً مضاعفة في صدر الإسلام ، فكثرت خلافات الكلمات المرادفة ، وهذا كله لتسهيل العرب الغير المتعودين للغة القرآن الفصحى ، ولكن لما اعتاد العرب لغة القرآن كلياً ألغيت الخلافات الكثيرة من المرادفات وغيرها ، ولذا لما وقعت العرضة الأخيرة التي تلا فيها الرسول الكريم ﷺ أمام جبريل عليه السلام مرة أخيرة ألغيت آنذاك قراءات عديدة ، نذكر دلائلها في الصفحات القادمة ، ولكن القراءات التي كانت قد بقيت حينذاك لباقية مع التواتر القطعي ، ومتلوّة مقروءة حتى يومنا هذا .

هذا هو الطريق المصون النزيه في البحث العويص الطويل المعقّد للأحرف السبعة ، فإنه يجعل جميع الأحاديث النبوية منسجماً مع معانيها ومدلولاتها ، ويقضى على جميع الخلافات والتعارضات ، فلا يتوجه إليه أيّ شك واعتراض يؤيده العقل والمنطق والبرهان ، وسنرد في الصفحات القادمة على جميع تلك الشبه التي يمكن إيرادها عليه ، ولكننا أولاً نذكر أسماء العلماء المحققين الذين اختاروا هذا القول أو ردوا على قول ابن جرير الطبري ، ورفضوه أشد الرفض وآكده .

[للبحث بقية]

الحـج و الـعـمـرة

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

الحج : هو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي علمت من الدين بالضرورة ، فلو أنكر وجوبه منكر كفر ، وارتد عن الإسلام .. (١) ، وهو آخر ما فرض من الشعائر والعبادات إذ كانت فرضيته في السنة التاسعة من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال ، وقد فرضه الله على كل مستطيع ، قال تعالى : ﴿ وَلله على النّاس حِجُّ البيت مَن استطاع إليه سبيلاً * ومَن كفر * فإن الله غنيٌ عن العالمين ﴾ [آل عمران/٩٧] .. (٢) ، ولا يكتمل إيمان العبد القادر إلا بأدائه .. (٣) ، وقد أجمع العلماء على أن أشهر الحج التي لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها هي شوال وذو القعدة ، واختلفوا في ذي الحجة ، هل هو بكماله من أشهر الحج أو عشر منه ؟ فذهب ابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، والأحناف ، والشافعي ، وأحمد إلى الرأي الثاني ، وذهب مالك إلى الرأي الأول ، و رجحه ابن حزم ، فقال : إن قول الله تعالى في سورة البقرة آية/١٩٧ : ﴿ اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُوْمَاتٌ ﴾ لا يطلق على شهرين وبعض آخر أشهر .. (٤) ، كما أجمع العلماء على أن الحج ، لا يجب في العمر إلا مرة واحدة إلا أن ينذر ، فيجب الوفاء بالنذر وما زاد ، فهو تطوع ، فعن ابن عباس ﷺ أنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فقال : "يا أيها الناس ! كتب عليكم الحج" ، فقام الأقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال "لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا ، الحج مرة ، فمن زاد ، فهو تطوع" .

[رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي والحاكم وصححه]

أما العمرة فقد ذهب الأحناف ومالك إلى أنها سنة لحديث جابر ﷺ أن النبي الكريم ﷺ ، سئل عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : "لا ، وأن تعتمروا هو أفضل" [رواه أحمد والترمذي] ، وقال حديث حسن صحيح بينما عند الشافعية وأحمد أنها فرض لقوله تعالى : ﴿ وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ * وَ الْعُمْرَةَ لله ﴾ [البقرة/١٩٦] ، فقد عطفت على الحج ، وهو فرض ، فهي فرض كذلك ، والرأي الأول أرجح ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن وقت العمرة جميع أيام السنة ، فيجوز أداؤها في أي يوم من أيامها ، وذهب أبو حنيفة إلى كراهتها في خمسة أيام ، هي : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، ويجوز تكرارها ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي الكريم ﷺ : اعتمر أربع عمر ، وعن نافع اعتمر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أعواماً في عهد ابن الزبير ، عمرتين في كل عام ، وعن القاسم أن عائشة رضي الله عنها : اعتمرت في سنة ثلاث مرات ، ويجوز للمعتمر أن يعتمر في أشهر الحج من غير أن يحج ، فقد اعتمر عمر في شوال ، ورجع إلى المدينة دون أن يحج ، كما يجوز له الاعتمار قبل أن يحج ، كما فعل عمر ﷺ .. (٦) ، و وجوه أداء العمرة مع الحج ثلاثةٌ ، هي .. (٧) :

الأول : القران و معناه أن يحرم من عند الميقات بالحج و العمرة معاً ، ويقول عند التلبية لبيك بحج وعمرة ، وهذا يقتضي بقاء المحرم على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج معاً أو يحرم بالعمرة ، ويدخل عليها الحج قبل الطواف .

الثاني : التمتع ومعناه هو الاعتمار في أشهر الحج ، ثم يحج من عامه الذي اعتمر فيه ، وهذا يقتضي أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ، ويقول عند التلبية لبيك بعمرة ، والبقاء على صفة الإحرام حتى الانتهاء من أعمالها ، ويتحلل إلى أن يجئ يوم التروية ، فيحرم من مكة بالحج .

الثالث : الإفراد ومعناه أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج

وحده ، ويقول في التلبية لبيك بحج ، ويبقي محرماً حتى تنتهي أعمال الحج ، ثم يعتمر بعد ذلك إن شاء .. (٨) ، وللحج والعمرة شروط وجوب ، وشروط صحة ، كما لهما أركان و واجبات و سنن و مفسدات .. (٩) ، و يجب للعمرة ، ما يجب للحج ، وكذلك يسن لها ما يسن له ، وبالجملة فهي كالحج في الإحرام والفرائض والواجبات والسنن والمحرمات والمكروهات والمفسدات والإحصار وغير ذلك ، ولكنها تخالفه في بعض الأمور ، أنها ليس لها وقت معين ، وليس فيها وقوف بعرفة ، ولا نزول بمزدلفة ، وليس فيها رمي جمار ، و لا طواف قدوم وميقاتها الحل لجميع الناس بخلاف الحج ، فإن ميقاته للمكي الحرم .. (١٠) .

وفي فضل الحج والعمرة ، فقد جاء أن الحج أفضل الأعمال ، فعن أبي هريرة ﷺ ، قال : سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : "إيمان بالله ورسوله" ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : "جهاد في سبيل الله" ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : "ثم حج مبرور" ، كما جاء عنه أنه جهاد ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : "جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج" [رواه النسائي ، بإسناد حسن] ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ! ترى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : "لكن أفضل الجهاد حج مبرور" [رواه البخاري ومسلم] ، كما أنه وكذلك العمرة إلى العمرة يمحقها الذنوب ، وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة ، فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : "من حج فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" [رواه البخاري ومسلم] ، وعن عمرو بن العاص قال : لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : ابسط يدك ، فلأبايعك ، قال : فبسط فقبضت يدي ، فقال : "ما لك يا عمرو ؟" قلت : أشترط ، قال : "تشترط ماذا ؟" ، قلت : أن يغفر لي ؟ قال : "أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ما قبله" [رواه مسلم] ، وعن أبي هريرة أنه ﷺ ، قال : "العمرة إلى العمرة

كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ، ليس له جزاء إلا الجنة" [رواه أحمد والبخاري ومسلم] ، كما أن الحجاج والعمار وفد الله الذي تجاب دعواتهم ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : "الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم" [رواه النسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ولفظهما] "وفد الله ثلاثة الحاج والمعتمر والغازي" ، وفي فضل النفقة في الحج عن بريدة ، قال رسول الله ﷺ : "النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف" [رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والبيهقي وإسناده حسن] ..(١١) .

وعن منافع الحج والعمرة ، قال تعالى : ﴿ وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً * وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميقٍ * ليشهدوا منافع لهم ﴾ [الحج/٢٦-٢٨] ، قال ابن عباس : منافع الدنيا والآخرة ، فأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات ، وأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى .. (١٢) ، والمنافع التي يشهدها الحجيج كثيرة ، وكل جيل بحسب ظروفه وحاجاته وتجاربه ومقتضياته .. (١٣) .

نوجز بيان بعضها في الآتي :

التقوى : وهي هدف عظيم من أهداف مناسك الحج النافعة ، وثمرة طيبة من ثمراتها الإيمانية اليانعة ، ولهذا فقد جاءت الدعوة إليها بعد ذكر آيات الحج لتؤكد على وجوب الالتزام بها ، والانتفاع بفضائلها ، فقال الله عزوجل : ﴿ الحج أشهر معلومات * فمن فرض فيهن الحج * فلا رفث * ولا فسوق * ولا جدال في الحج * وما تفعلوا من خير يعلمه الله * وتزودوا * فإن خير الزاد التقوى * واتقون * يا أولي الألباب ! ﴾ [البقرة آية/١٩٧] ، فالحج موسم لمجاهدة النفس وتزكيتها وتربيتها على التقوى .. (١٤) ، يتزود المسلم فيه بشحنة روحية كبيرة تملأ جوانحه خشية ، وتقى لله ، وعزماً على طاعته ، وندماً على معصيته ، ومما لا شك فيه أنه لو اصطبغت حياة المسلم بالتقوى

قلباً وقالباً ، قولاً وفعلاً ما ظهر منها ، وما خفي لأتت التقوى ثمارها على المسلم رزقاً ، وعلى من حوله عدلاً ، وإحساناً في معاملته لهم .

وفي الحج يجد الحاج إخواناً له من قارات الدنيا اختلفت أقاليمهم وألوانهم ولغاتهم ، جمعتهم جميعاً في أجلي صور المساواة ، وأمّها بين الناس رابطة الإيمان والإسلام تحت شعار : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [الحجرات ١٠] ، فتوقظ فيه مشاعر الأخوة لأبناء دينه ، والحاجة إلى وحدة الأمة الإسلامية ، كما أن هذا التجمع الهائل ، وهذه الحشود الكثيرة العدد توحي بالقوة مما يطرد عوامل اليأس من نفس المسلم ، ويوقد صدره شعلة الحماسة لدينه ، والغيرة على حرماته ، وإن كان الشعور بالمساواة والأخوة ، والقوة مكاسب معنوية يحققها موسم الحج إلا إنها لو تجسدت بيننا ، وتحولت إلى كيان مادي ، و وجود حقيقي ، و واقع ملموس في حياتنا لعادت علينا بمكاسب مادية .

وفي الحج يعيش المسلم في حالة سلام مع نفسه ، ومع من حوله حتى مع أعدائه ، فهو رحلة سلام إلى أرض سلام في زمن سلام ، فمعظم أعمال الحج يقع في شهرين من الأشهر الحرام التي جعلها الله هدنة إجبارية تغمد فيها السيوف ، وتحقن فيها الدماء ، قال تعالى في سورة المائدة آية/٩٧ : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس * والشهر الحرام ﴾ ، والمسلم حين يحرم بالحج لا يجوز له أن يقطع نباتاً أو يعضد شجرة أو أن يذبح حيواناً صاده غيره له أو يرمي هو صيداً في الحرم أو خارجه ، قال تعالى في سورة المائدة آية/٩٥ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تقتلوا الصيد * وأنتم حرم ﴾ ، وقال : ﴿ حُرِّمَ عليكم صيد البر ما دُمتم حرماً ﴾ [المائدة/٩٦] ، بل لا يجوز للمحرم أن يحلق ، أو يقصر شعره ، أو يقص ظفره ، حتى يتحلل من إحرامه ، وأرض الحج هي البلد الحرام ، والبيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً ، حيث يتوفر الأمن الشامل الذي أنعم الله به على

عباده ، فقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَروا أنا جعلنا حرماً آمناً * ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت آية/٦٧] ، وقال : ﴿ ومَنْ دَخَله كان آمناً ﴾ [آل عمران/٩٧] ، والذي قال فيه عمر : لو وجدت فيه قاتل أبي ما مسته يدي .. (١٥) ، وقد أكد القرآن الكريم على أمن قاصدي منطقة الحرم ، ومنع التعرض لهم بأذى ومراعاة حرمة منطقة الحرم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تحلوا شعائر الله * ولا الشهر الحرام * ولا الهدي * ولا القلائد * ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً * وإذا حللتم فاصطادوا * ولا يجر مَنَّكُمْ شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا * وتعاونوا على البر والتقوى * ولا تعاونوا على الإثم والعدوان * واتقوا الله * إن الله شديد العقاب ﴾ [المائدة/٢٠] ، وأن مجرد إرادة الظلم في البلد الحرام يستحق فاعله من الله سبحانه وتعالى العقوبة الأليمة ، فقد قال تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نُذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج/٢٥] ، وقال ﷺ : "لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح" [رواه مسلم] .. (١٦) ، ولو دام السلام الذي يعيشه المحرم مع نفسه ، ومع من حوله سلام الرحمة على المؤمنين ، والذلة لهم ، والعفو عند المقدرة سلام الشدة على الكافرين ، والعزة عليهم ، والقدرة على رد أي اعتداء وقع على أي مسلم في أي بقعة من بقاع العالم لتحولت حياتنا كثيراً عما هي عليه الآن .

كما أن موسم الحج يعتبر فرصه إجبارية لمن أخذته مشاغل الدنيا عن الاهتمام بأمور المسلمين ، والاطلاع على أحوالهم أن يراها ويشاهدها عن قرب ، ولقد عرف علماء الإسلام قيمة هذا الاجتماع ، فاتخذوا منه فرصة لتبادل الآراء ، وتعارف الأفكار ، و رواية الأحاديث والأخبار ، كما عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمي ، فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم ، وبين أبناء الشعب القادمين من كل فج عميق ، وبينهم وبين ولاتهم في الأقاليم ، فمن كانت له مظلمة أو شكاية ، فليتقدم بها إلى الخليفة ذاته بلا وساطة ،

ولا حجاب ، وهناك يواجه الشعب الوالي أمام الخليفة بلاتهيب ، ولا تحفظ ، فيغاث الملهوف ، وينصف المظلوم ، ويرد الحق إلى أهله ، ولو كان هذا الحق عند الوالي أو الخليفة .. (١٧) .

ومن بين المنافع التي يحققها الحج والعمرة في سبل سعة الرزق ، فقد وردت أحاديث عديدة تدل على أن المتابعة بين العمرة والحج من مفاتيح الرزق ، ومسببات نفي الفقر والذنوب ، فقد روي الأئمة أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان عن عبد الله ابن مسعود ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : "تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد ، والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة" ، ففي هذا الحديث الشريف بين الصادق المصدوق الناطق بالوحي أن ثمرة المتابعة بين الحج والعمرة زوال الفقر والذنوب ، وقال الإمام الطيبي في شرح قوله ﷺ : "فإنهما ينفيان الفقر والذنوب" إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال ، كما روى الإمام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : "تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كماينفي الكير خبث الحديد" .. (١٨) ، وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال : "هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم أي يقصد هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده ردّه بأجر وغنيمة" [رواه ابن جريج بإسناد حسن] .. (١٩) .

كما لا بأس للحاج أن يتاجر ويتكسب ، وهو يؤدي أعمال الحج والعمرة ، قال ابن عباس : إن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة ، وسوق ذي المجاز ، ومواسم الحج ، فخافوا البيع ، وهم حرم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ [البقرة/١٩٨] ، فأمروا أن يتجروا إذا أفاضوا من عرفات .. (٢٠) ، ويعتبر موسم الحج فرصة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين ،

فأصحاب السلع والتجارة يجدون فيه سوقاً رائجة حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شئ من أطراف الأرض ، ويقدم الحجيج من كل فج ، ومن كل قطر ، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد ، فهو موسم تجارة ، ومعرض نتاج ، وسوق عالمية تقام في كل عام .. (٢١) ، ويحرص الحجيج على الاقتناء من هذه السلع قدر ما يستطيعون ، ولذا فهي مصدر رزق للمشترى منه والمحمولة إليه .

وعن أبي أمامة التيمي أنه قال لابن عمر : إني رجل أكري أي أؤجر الرواحل للركوب في هذا الوجه ، وإن ناسا يقولون لي : أنه ليس لك حج ، فقال ابن عمر : أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت ، وتفيض من عرفات ، وترمي الجمار ، قلت : بلى ! قال : فإن لك حجا ، وقال : جاء رجل إلى النبي الكريم ﷺ ، فسأله عن مثل ما سألتني ، فسكت حتى نزلت هذه الآية : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ فأرسل إليه وقرأ عليه هذه الآية ، وقال : "لك حج" [رواه أبو داؤد وسعيد بن منصور] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله ، فقال : أوجر نفسي من هؤلاء القوم ، فأنسك معهم المناسك إلى أجر؟ قال ابن عباس : نعم ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب [رواه البيهقي والدار قطني] .. (٢٢) ، وتعتبر أشهر الحج وأوقات العمرة موسم انتعاش اقتصادي لشركات الملاحة ، والطيران ، والنقل البري ، والسياحة ، والجمعيات ، والنوادي ، والهيئات المنظمة لرحلات الحج ، وكذلك لمكاتب البريد ، والاتصالات السلكية ، ولمنتجي مستلزمات الحجاج ، ولجميع من يؤدون خدمات للحجيج .

و من بين هذه المنافع أيضاً ، و تعتبر مصدر رزق للمنتفع بها الهدى ، وهو ما يهدي من النعم إلى الحرم تقرباً إلى الله عزوجل ، قال تعالى : ﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير * فاذكروا اسم الله

عليها صواف * فإذا وجبت جنوبها * فكلوا منها * وأطعموا القانع والمعتر * كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون * لن ينال الله لحومها * ولا دماؤها * ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج/٣٦-٣٧] ، وقال عمر ﷺ : أهدوا ؛ فإن الله يحب الهدي ، وأهدى رسول الله ﷺ مائة من الإبل ، وكان هديه تطوعاً ، و للمرء أن يهدي للحرم ما يشاء من النعم ، وأقل مايجزئ عن الواحد شاة ، أو سبع بدنة ، أو سبع بقرة ، فإن البقرة أو البدنة تجزئ عن سبعة شياه .

وينقسم الهدي إلى مستحب و واجب ، فالهدي المستحب للحاج المفرد ، والمعتمر المفرد ، والهدي الواجب أقسامه كالآتي : واجب على القارن والمتمتع ، و واجب على من ترك واجباً من واجبات الحج كالإحرام من الميقات ، ورمي الجمار ، والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة ، والمبيت بالمزدلفة ، أو منى ، أو ترك طواف الوداع .. (٢٣) ، والفدية هنا ذبح شاة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة بعد العودة ، وهناك أمور توجب ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام ، هي لبس المخيط أو المحيط للرجال ، تغطية الرجل رأسه ، والأنثى وجهها ، استعمال الطيب ، دهن شعر الرأس أو اللحية بأي نوع من الدهان ، إزالة أكثر من شعرتين من الرأس أو الجسد أو أكثر من ظفرين إن كان ذلك عمداً ، مقدمات الجماع كالقبلة و المباشرة ، و كذلك الملامسة التي تنقض الوضوء ، والنظر بشهوة أو التفكير إن أعقبه إنزال وكذلك الاستمناء .. (٢٤) ، و واجب بالجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره .. (٢٥) ، و الفدية جزاء قتل الصيد على الترتيب التالي أن يذبح مثل الصيد من النعم ، ويتصدق به على فقراء الحرم ، أن يشتري بقيمته طعاماً يتصدق به لكل مسكين ما يوازي نصف صاع من القمح ، أن يصوم أياماً بعدد المساكين الواجب إطعامهم ، فلو كانت القيمة توازي صاعين من القمح ، مثلاً صام أربعة أيام ، ولا يلزم في هذا الصيام التتابع ، هذا إن كان الصيد غير مملوك

لأحد أما إن كان مملوكاً للغير ، فعليه مثلان للمصيد : أحدهما الجزاء المتقدم ، والثاني العوض لمالكه وتنطبق هذه الأمور على شجر الحرم وحشيشه ، فمن قطع أو أتلف منها شيئاً وجبت عليه الفدية بالذبح أو الإطعام بقيمة ما أتلفه أو الصيام .. (٢٦) ، ولأصحاب المذهب الفقهية آراء أكثر تفصيلاً وتوضيحاً لموجبات الهدى في شتى مناسك الحج والعمرة منذ بداية الإحرام والتلبية وإلى نهاية طواف الوداع إذا لم تؤد بالكيفية المحددة لها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى الأحناف يلزم ترك التلبية دم ، وكذلك مشهور مذهب مالك أنها واجبة يلزم بتركها أو ترك اتصالها بالإحرام مع الطول دم .. (٢٧) ، وعن الحسن في الحجامة فدية ، وإن لم يقطع شعراً .. (٢٨) ، وفي إزالة المحرم للشعرة من جسمه مد ، وفي الشعرتين مدان .. (٢٩) ، ويرى الحنفية أن الطهارة من الحدث في الطواف ليس شرطاً ، وإنما هي واجب يجبر بالدم ، فلو كان محدثاً حدثاً أصغر ، وطاف صح طوافه ، ولزمه شاة ، وإن طاف جنباً أو حائضاً صح ، ولزمه بدنة ويعيده ما دام بمكة ... (٣٠) ، من ترك ركعتي الطواف عليه دم .. (٣١) ، وذهب أبو حنيفة والثوري والحسن إلى أن السعي بين الصفا والمروة واجب ، وليس بركن لا يبطل الحج أو العمرة بتركه ، وأنه إذا تركه وجب عليه دم ، ورجح صاحب المغني هذا الرأي .. (٣٢) ، عند المالكية من سعي راكباً من غير عذر أعاد إن لم يفت الوقت ، وإن فات فعليه دم لأن المشي عند القدرة عليه واجب ، وكذا يقول أبو حنيفة .. (٣٣) ، وقالت الأحناف الواجب الحضور بالمزدلفه قبل فجر يوم النحر ، فلو ترك الحضور لزمه دم إلا إذا كان له عذر .. (٣٤) ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه لم يراع الترتيب التالي في أعمال يوم النحر حيث يبدأ بالرمي ، ثم الذبح ، ثم الحلق ، ثم الطواف بالبيت ، فقدم نسكاً على نسك فعليه دم .. (٣٥) ، وقد اختلف جمهور الفقهاء في حكم الحلق أو التقصير ، فذهب أكثرهم إلى إنه واجب

يجبر تركه بدم .. (٣٦) ، ويرى أبو حنيفة أن ركن الحج من طواف الإفاضة أربعة أشواط لو تركها الحاج بطل حجه ، وأما الثلاثة الباقية ، فهي واجبة ، و ليست بركن ، ولو ترك الحاج هذه الثلاثة أو واحداً منها ، فقد ترك واجباً ، ولم يبطل حجه وعليه دم ، وعند أبي حنيفة ومالك أن وقت طواف الإفاضة يدخل بطلوع فجر يوم النحر ، واختلفا في آخر وقته ، فعند أبي حنيفة يجب فعله في أي يوم من أيام النحر ، فإن أخره لزمه دم ، وقال مالك لا بأس بتأخيره إلى آخر أيام التشريق ، وتعجيله أفضل ، وعند وقته إلى آخر شهر ذي الحجة ، فإن أخره عن ذلك لزمه دم وصح حجه .. (٣٧) ، وقالت الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعي : إن طواف الوداع واجب يلزم بتركه دم .. (٣٨) .

وإذا جامع المحرم زوجته قبل التحلل الأول ، فقد أفتى أبو العباس الطبري بفساد حجه سواء أكان ذلك قبل الوقوف بعرفة أو بعده ، ويجب عليه أن يمضي في فاسده ، ويجب عليه بدنة ، والقضاء من قابل ، فإن كانت المرأة محرمة مطاوعة ، فعليها المضي في الحج ، والقضاء من قابل ، وكذا الهدي عند أكثر أهل العلم ، وذهب بعضهم إلى أن الواجب عليهما هدي واحد ، وهو قول عطاء ، وإذا عجز عن البدنة وجب عليه بقرة ، فإن عجز فسبع من الغنم ، فإن عجز قوم البدنة بالدراهم ، والدراهم طعاماً ، وتصدق به لكل مسكين مد ، فإن لم يستطع صام عن كل مد يوماً ، وقال أصحاب الرأي إن جامع قبل الوقوف فسد حجه ، و عليه شاة أو سبع بدنة ، وإن جامع بعده لم يفسد حجه وعليه بدنة ، والقارن إذا أفسد حجه يجب عليه ما يجب على المفرد ، و يقضي قارناً ، و لا يسقط عنه هدي القران ، والجماع الواقع بعد التحلل الأول لا يفسد الحج ، ولا قضاء عليه عند أكثر أهل العلم ، وذهب بعضهم إلى وجوب القضاء ، وهو قول ابن عمر ، و قول الحسن ، و إبراهيم و يجب به الفدية ، و تلك الفدية بدنة أو

شاة ؟ اختلف فيه فذهب ابن عباس وعطاء إلى وجوب البدنة ، وهو قول عكرمة وأحد قولي الشافعي ، والقول الآخر يجب عليه شاة ، وهو مذهب مالك .. (٣٩) ، ومن أحرم بحج أو بعمرة ، ثم حبس عن الطواف في العمرة أو عن الوقوف بعرفة أو طواف الإفاضة في الحج لوجود عدو ، أو مرض يزيد بالانتقال والحركة ، أو خوف أوضياع النفقة ، أو موت محرم الزوجة في الطريق ، وغير ذلك من الأعذار المانعة سمي ذلك بالإحصار ، وقد حصر النبي الكريم ﷺ ، ومنع هو وأصحابه في الحديبية عن المسجد الحرام ، فنزل قوله تعالى : ﴿ فإن أُحْصِرْتُمْ * فَمَا اسْتيسر من الهدي ﴾ [البقرة/١٩٦] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي الكريم ﷺ ، قد أحصر فحلق ، وجامع نساءه ، ونحر هديه حتى اعتمر عاماً قابلاً [رواه البخاري] ، وقد استدل بهذا الجمهور من العلماء على أن المحصر يجب عليه ذبح شاة ، أو بقرة ، أو نحر بدنة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية السابقة ، يقول من أحرم بحج أو بعمرة ، ثم حبس عن البيت فعليه ذبح ما استيسر من الهدي شاة فما فوقها يذبح عنه ، فإن كان حجة الإسلام ، فعليه قضاؤها ، وإن كان حجه بعد حج الفريضة ، فلا قضاء عليه ، وفي محل نحر الهدي للمحصر أقوال ، الأول للجمهور أنه يذبح هديه حيث يحل في حرم أو حل ، الثاني للحنفية أنه لا ينحره إلا في الحرم ، الثالث لابن عباس وجماعة أنه إن كان يستطيع البعث به إلى الحرم وجب عليه ، ولا يحل حتى ينحر في محله ، وإن كان لا يستطيع البعث به إلى الحرم نحر في محل إحصاره ، وذهب كثير من العلماء إلى جواز أن يشترط المحرم عند إحرامه أنه إن مرض تحلل ، فقد روي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي الكريم ﷺ ، قال لضباعة : "حجي واشترطي أن محلي حيث تحبسني" ، فإذا أحصر بسبب من الأسباب من مرض أو غيره إذا اشترطه في إحرامه ، فله أن يتحلل ، وليس عليه دم ولا صوم .. (٤٠) .

كما يسن لكل قادر أن يضحي : "أي يذبح أضحية تقرباً إلى الله تعالى" سواء كان قائماً بأعمال الحج ، أو لا باتفاق الشافعية والحنفية والحنابلة ، وخالف المالكية ، فقالوا : لا تطلب من الحاج ، ويضحي بشاة من الضأن أو المعز تجزئ عنه ، وعن أهل بيته ، فهي سنة كفاية يكره تركها عند القدرة عليها ، وقد ثبت أن النبي الكريم ﷺ ضحي بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده ، وسمي وكبر فيما روي البخاري ومسلم عن أنس ، وتجوز المشاركة في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر ، وتجزئ البقرة أو الجمل عن سبعة أشخاص ، فعن جابر قال : نحرنا مع النبي الكريم ﷺ بالحديبية البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة . [رواه مسلم وأبو داؤد والترمذي]

والهدى أو الأضحية سواء ، لا تكن إلا من الإبل والبقر والغنم ، قال تعالى : ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج/٣٤] ، واتفق العلماء على أن الأفضل هذا الترتيب باعتبار ما هو أنفع للفقراء ، ويشترط إن كان من الإبل ما لها خمس سنين ، ومن البقر ما له سنتان ، ومن المعز ما له سنة ، ومن الضأن ما له سنة أوستة أشهر على خلاف بين الأئمة ، وأن يكون سليماً من العيوب ، والهدي سواء أكان واجباً أم تطوعاً لا يذبح إلا في الحرم ، أما الأضحية فتذبح في مكان تواجد المضحى ، واختلف العلماء في وقت ذبح الهدي ، فعند الشافعية أن وقت ذبحه يوم النحر ، وأيام التشريق لقول الرسول الكريم ﷺ : "وكل أيام التشريق ذبح" [رواه احمد] ، فإن فات وقته ذبح الهدي الواجب قضاء ، وعند مالك وأحمد وقت ذبح الهدي سواء أكان ذبح الهدي واجباً أم تطوعاً أيام النحر ، وهذا رأي الأحناف بالنسبة لهدي التمتع و القران ، و أما دم النذر و الكفارات و التطوع ، فيذبح في أي وقت ، وحكي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، والنخعي وقتها من يوم النحر إلى آخر ذي الحجة ، كما يشترط في الأضحية ألا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ، ومر من الوقت قدر ما

يصلي العيد ، ويصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار ، ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام ، فعن البراء ﷺ عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك ، فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل ، فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شئ" ، وقد أمر الله بالأكل من لحوم الهدي ، فقال تعالى : ﴿ فكلوا منها * وأطعموا البائس الفقير ﴾ [الحج/٢٨] ، وهذا الأمر يتناول بظاهره هدي الواجب وهدي التطوع ، وقد اختلف فقهاء الأمصار في ذلك ، فذهب أبو حنيفة وأحمد إلى جواز الأكل من هدى المتعة ، وهدى القران ، وهدى التطوع ، ولا يأكل مما سواها ، وقال مالك يأكل من الهدي الذي ساقه لفساد حجه ولفوات الحج ، ومن هدي المتمتع ، ومن الهدي كله إلا فدية الأذى ، وجزاء الصيد ، وما نذره للمساكين ، وهدي التطوع إذا عطب قبل محله ، وعند الشافعي لا يجوز الأكل من الهدي الواجب مثل الدم الواجب في جزاء الصيد ، وإفساد الحج ، وهدي التمتع والقران ، وكذلك ما كان نذراً أوجبه على نفسه أما ما كان تطوعاً ، فله أن يأكل منه ، ويهدي ويتصدق بما يراه ، وقيل يأكل النصف ويتصدق بالنصف ، وقيل يقسمه أثلاثا ، فيأكل الثلث ، ويهدي الثلث ، ويتصدق بالثلث ، كما يسن للمضحي أن يأكل من أضحيته ويهدي الأقارب ، ويتصدق منها على الفقراء ، قال رسول الله ﷺ : "كلوا وأطعموا وادخروا" ، وقد قال العلماء : الأفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث ويجوز نقلها ولو إلى بلد آخر ولا يجوز بيعها ولا بيع جلدها ولا يعطي الجزار من لحمها شيئاً كأجر وله أن يكافئه نظير عمله وإنما يتصدق به المضحي أو يتخذ منه ما ينتفع به ، وعند أبي حنفية أنه يجوز بيع جلدها ويتصدق بثمنه وأن يشتري بعينه ما ينتفع به في البيت .. (٤١) ، وتيسراً على الحجاج وتحقيقاً للمصلحة العامة يقوم البعض منهم بدفع ثمن الهدى والأضاحي نقداً وتقوم المملكة

العربية السعودية بتوزيع لحومها على الفقراء هناك ، ويتم شحن باقي الكميات جواً وبحراً إلى عدد من البلدان الإسلامية .

المراجع :

(١) فقه السنة : السيد سابق : ج/١، ص/٦٢٥ .

(٢) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٢٩٦-٢٩٧ .

(٣) مجلة "الحج" العدد الثامن للسنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ ، يوليه ١٩٩٩م ص/٣٤ .

(٤) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٥١ .

(٥) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٢٨ .

(٦) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٤٩-٧٥١ .

(٧) إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي : ج/١ ، ص/٢١٨ .

(٨) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٥٦-٦٥٧ .

(٩) الإسلام وأركانه : ياسين محمد رشدي من ص/١٥٤ إلى/١٥٧ .

(١٠) الفقه على المذاهب الأربعة : عبد الرحمن الجزيري : ج/١ ، ص/٦٨٧ .

(١١) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٢٦ و/٦٢٧ و/٦٢٨ .

(١٢) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ج/٣ ، ص/٢١٦ .

(١٣) في ظلال القرآن : سيد قطب : ج/٤ ، ص/٢٤١٨-٢٤٢٠ .

(١٤) مجلة "الحج" العدد الثامن السنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ ، يوليه ١٩٩٩م : ص/٣٧ و/٣٨ و/٣٩ .

(١٥) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٣٠٢-٣٠٩ .

(١٦) مجلة "الحج" العدد الثامن السنة الرابعة والخمسون صفر ١٤٢٠هـ ، يوليه ١٩٩٩م : ص/٣٩ .

(١٧) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٣٠٢-٣٠٩ .

(١٨) مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة : فضل إلهي : ص/٤٧-٥٠ .

(١٩) كيف تحقق غني النفس وسعة الرزق : سعيد عبد العظيم : ص/١٤ .

(٢٠) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٤١ .

(٢١) في ظلال القرآن : سيد قطب : ج/٤ ، ص/٢٤١٩-٧٢٨ .

(٢٢) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٤١ .

(٢٣) فقه السنة السيد سابق ج/٤ ، ص/٧٣٦-٧٣٨ .

(٢٤) الإسلام وأركانه : ياسين محمد رشدي : ص/١٦٩ .

(٢٥) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٣٨ .

(٢٦) الإسلام وأركانه : ياسين محمد رشدي : ص/١٧٠ .

(٢٧) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٦١-٦٦٢ .

(٢٨) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٦٧ .

(٢٩) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٨١ .

(٣٠) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٩٦ .

(٣١) أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي : ج/١ ، ص/٤٠ .

(٣٢) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٠٩ .

(٣٣) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧١٢ .

(٣٤) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٢٤ .

(٣٥) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٢٦ .

(٣٦) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٤٢ .

(٣٧) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٤٦ .

(٣٨) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٥٢ .

(٣٩) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٦٨٢-٦٨٣ .

(٤٠) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، ص/٧٥٧-٧٦٠ .

(٤١) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، من ص/٧٣٦-٧٤٣ ، ومن ص/٢١٧-٢٢٥ .

دراسات و أبحاث :

دراسة موجزة
عن مقدمة ابن خلدون

(٢/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد يوسف
المحاضر في القسم العربي ، جامعة داكا - بنغلاديش

كان أقدم من وجه نظر الغربيين إلى مقدمة إبن خلدون ، فقد نشر مستشرق فرنسي دربلو (d' Herbelat 1665-1690) في أواخر القرن السابع عشر في المكتبة الشرقية "d, Herbelat Biblir Theque Drintate" مقالاً يتضمن بعض معلومات عن ابن خلدون ، وبعض مقتطفات من مقدمته .

ولم تظهر بعد ذلك من علماء الغرب عناية بابن خلدون ، ولا اهتمام بدراسة بحوثه في المقدمة إلا في أوائل القرن التاسع عشر ، فقد أخذ حينئذ بعض علماء الاستشراق ينشرون بحوثاً مطولة عن ابن خلدون ومقدمته ، ويقدمون نماذج مترجمة عن دراساته ، ويكشفون عن مبلغ أصالتها وعمقها في علاج مسائل الاجتماع ، وكان على رأس هؤلاء ثلاثة من كبار المستشرقين ، وهم سلفستر ديساسي الفرنسي "Dsaac, Sylvstredusacy" ، وفون هامر النمساوي "Von Hammer Purgstall" ، وشولتر "Sohuly" فقد نشر سلفستر ديساسي سنة ١٨٠٦م ترجمة فرنسية لما كتبه ابن خلدون في المقدمة عن البيئة ، وشارات الملك ، ولما ذكره في الفقرة الأخيرة من فاتحة كتابة ، وفي سنة ١٨١٠م ، نشر ترجمة لفصول أخرى من المقدمة (٢٠) .

وفي منتصف القرن التاسع عشر قام المستشرق الفرنسي كاترمير "Quatremere" بطبع المقدمة باللغة العربية وظهرت كاملة في فرنسا ١٨٥٨م

أي في السنة نفسها التي ظهرت فيها أول طبعة للمقدمة في مصر ، وكان في نية كاترمير أن يترجمها كذلك إلى الفرنسية ، وأنجز بالفعل ترجمة بعض أجزاء منها ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يكمل مشروعه .

وقد تبني هذا المشروع من بعده المستشرق الفرنسي دوسلان "Dislane" فترجم المقدمة كلها إلى اللغة الفرنسية ، وعلق على بعض فقراتها، وشرح بعض عباراتها ، ومهّد لها ببحث طويل في التعريف بابن خلدون ، وعمل دوسلان في ترجمته هذه على التمييز بين عناوين البحوث الستة الرئيسية في المقدمة ، وعناوين الفصول الفرعية المنشعبة من كل بحث منها .. فعنوان للبحوث الرئيسية بكلمة : "قسم" بدلاً من كلمة : "فصل" التي استخدمها المؤلف ابن خلدون ، وطبعت هذه الترجمة وملحقاتها في ثلاثة مجلدات ، ظهر أولها سنة ١٨٦٢م ، وظهر آخرها سنة ١٨٦٨م .

وقد وضعت هذه الترجمة مقدمة إبن خلدون في متناول جميع العلماء والمفكرين في الغرب بعد أن كان إمكان الاطلاع عليها هناك مقصوراً على طائفة المستشرقين .

وأتاحت للمشتغلين ببحوث علم الاجتماع معرفة قدرها ، وإنزالها المنزلة اللائقة بها في هذه البحوث ، بعد أن كان مجهولة المكانة من هذه الناحية ، لأن معظم المستشرقين الذين كانوا يستطيعون قبل ذلك الاطلاع عليها في نصها العربي كانوا بعيدين عن هذا العلم (٢١) .

وإن آثار مقدمة ابن خلدون تغيرت آراء علماء الغرب فيما يتعلق بنشأة العلوم الاجتماعية ، وتاريخ هذه النشأة ، فقد كانوا يزعمون مثلاً أن فيكو (Vico) مع أن هو أول من بحث في "فلسفة التاريخ" ، ولكنهم علموا حينئذ أن ابن خلدون قد سبقه إلى ذلك بمدة تزيد على ثلاثة قرون ونصف قرن ، وأنه قد أقام دراسته لتطور الحضارة الإنسانية أي لما يسمونه : "فلسفة التاريخ" على دعائم علمية قوية ، وكانوا يدعون أن أوغسط كونت

"Auguste Conte" ، هو أول من أنشأ علم الاجتماع ، ولكنهم علموا حينئيذ أن ابن خلدون قد سبقه إلى ذلك بمدة تزيد على أربعة قرون ونصف قرن ، وبطرق ومناهج مبرأة من عيوب الطرق التي لجأ إليها أوغسط كونت ، ومن مساوي مناهجه (٢٢) ، و وجدوا كذلك أن كثيراً من الآراء والمبادئ التي قال بها المحدثون من علماء الاقتصاد ، وفلسفة القانون ، والفلسفة السياسية كالفيزيوكرات ، وآدم سميث ، وجان باتيست ساي ، ومنتسكيو و جان ، و جاك ، و روسو ، و غيرهم ، قد سبقهم إليها ابن خلدون في مقدمته (٢٣) .

وكان من آثار ذلكَ أيضاً أن تعددت البحوث عن ابن خلدون وعن مقدمته حتى لقد تألف منها في مختلف مكتبات الغرب مجموعة من أوسع المجموعات ، وترجع هذه البحوث إلى طائفتين رئيسيتين :

إحداها : تتمثل في دراسات قائمة بنفسها عن ابن خلدون ظهر بعضها في صورة كتب ، وبعضها في صورة رسائل ومقالات ، نشرت في مجلات علمية .

فمن أهم ما ظهر عن هذه الطائفة في صورة كتب المؤلفات بعض منها : "Bouthoul (Gaston) : Ibn Khaldoun et sa Philosophie Sociale" ، وقد ترجمه إلى العربية المرحوم عادل زعيتر تحت عنوان : ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية وغير ذلك .

ومن أهم ما ظهر من هذه الطائفة في صورة مقالات بعض منها :

= Colosio (s) Contribution a L,etude d, Ibn Khaldun (Revue du Monde Musulman xxvi,1914).

= Gumplowicy (L) : Ibn Khaldaoun ein rabischir Sovjealoge dis 14 Jahrhunderts,in Socilogische Essays.

والثانية : تتمثل في فقرات أو فصول مخصصة لابن خلدون ومقدمته وآرائه في ثنايا الكتب الباحثة في الفلسفة الإسلامية ، أو التاريخ ، أو الاقتصاد ، أو الاجتماع ، أو تاريخ هذه العلوم ، أو في ثنايا دوائر المعارف ،

ومن أهم هذه البحوث مايلي :

= Brockelman dans : Greschichte der arabischen Letterature,11 .

= De Boer,Dans : Greschichte der Philosophie in Islam .

ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة .

= Maunier,(Rane) dans : Introduction a ia Sociologie .

ترجمه إلى العربية الدكتور السيد محمد بدوي (٢٤) .

وقد حالف التوفيق بعض الباحثين من علماء الغرب في ابن خلدون ، فسجل عظمته ، وأصالة بحوثه ، وأسبقيته في إنشأ علم الاجتماع ، وأنزل مقدمته المنزلة الجديدة بها ، وإليك مثالاً من ذلك فيما كتبه سميث "N.Schmidt" في كتابه المشار إليه "ابن خلدون"مؤرخ اجتماعي وفيلسوف ، المطبوع سنة ١٩٣٠م ، إذ يقول : إن المفكرين الذين وضعوا أسس علم الاجتماع من جديد لو كانوا قد اطلعوا على مقدمة ابن خلدون في حينها ، واستعانوا بالحقائق التي كان قد اكتشفها والطرائق التي سار عليها ذلك العبقري العربي قبلهم بمدة طويلة لا ستطاعوا أن يتقدموا بهذا العلم الجديد بسرعة أعظم بما تقدموا به فعلاً .

وكذلك يقول : إن ابن خلدون قد تقدم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها "أوغسط كونت" نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر (٢٥) .

مع ذلك فإن عدداً غير يسير منهم قد جانبه التوفيق أو غلب عليه التعصب ، فخفيت عليه عظمة ابن خلدون ، وتخبط في نقده لنظرياته ، ولم يدرك ما في دراساته من أصالة وابتكار .

قد اتضح لنا من الدراسة عن ابن خلدون ومقدمته أن ابن خلدون أول إنسان استنبط فلسفة التاريخ سماها : "طبيعة العمران في الخليقة" ، ومؤسس علم الاجتماع ، وقد فصلها في مقدمته واستشهد على كل ما

كتب بالحوادث التاريخية الصحيحة مما دل على سداد رأيه ، و صدق نظره ، وانفساح ذرعه في الاستنباط والتعليل وغير ذلك من الأوصاف التي تصدقها آراؤها وآثارها .

☆ المصادر والمراجع :

(٢٠) عبقريات إبن خلدون : ص/١٨٠ .

(٢١) تقع هذه وما عليها من تعليقات في ٤٧/صفحة في طبعه لجنة البيان العربي صفحات/٣٦٢-٤٠٨ .

(٢٢) تقع هذه وما عليها من تعليقات في ١١/صفحة في طبعه لجنة البيان العربي : ص/٤٠٩-٤١٩ .

(٢٣) ويقع هذا الباب في نحو ٥٤ صفحة في طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، حارة حريك شارع ، عبد النور : ص/٥٤-١٤٩ .

(٢٤) مقدمة إبن خلدون في طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ص/١٤٩ .

(٢٥-٢٦) يقع هو وما عليه من تعليقات في ٣٧٠/صفحة في طبعة البيان للمقدمة .

(٢٧) يقع هو وما عليه من تعليقات في ٦٠٣/صفحة في طبعة البيان للمقدمة .

(٢٨) يقع هو وما عليه من تعليقات في ٨٠/صفحة في طبعة البيان للمقدمة .

(٢٩) يقع هو وما عليه من تعليقات في نحو ٤٠٠/صفحة في طبعة البيان للمقدمة .

(٣٠-٣١-٣٢-٣٣) عبقريات ابن خلدون : ص/١٨٤ .

(٣٤-٣٥) المصدر السابق : ١٨٥ . (٣٦) المصدر السابق : ص/١٨٧ .

(٣٧) المصدر السابق : ص/١٨٨ . (٣٨) المصدر السابق : ص/٢٦٩ .

(٣٩) المصدر السابق : ٢٨٠-٣٧٤ . (٤٠) مقدمة ابن خلدون : ص/٢١١-٢٣٠ .

(٤١) مقدمة ابن خلدون ص/٢٠٨-٢١٠ . (٤٢) عبقريات ابن خلدون ص/٢٧٣-٢٧٤ .

(٤٣) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، مطبعة المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٣م : ص/٣٠٦-٣٠٧ .

الشعر العربي بخراسان
في العصر الأموي

بقلم : د/محمد مظهر عالم الندوي
قسم اللغة العربية وأدابها ، جامعة عليكره الإسلامية (الهند)

انتشر العرب بعد ظهور الإسلام في بلاد كانت على صلة مباشرة بالجزيرة العربية ، حاملين لواء الإسلام والأمن والطمأنينة ، فسرعان ما أخذت هذه البلاد طابعها العربي ، وأضحت مراكز عربية نشيطة ، كما غزوا البلاد التي كانت بعيدة منهم ، وغريبة عنهم لغوياً وحضارياً ، فبقدومهم الميمون هبت رياح الإيمان ، والأخوة في هذه البلاد ، وإنها اعتنقت الحضارة العربية ولغتها ، فتكلم أبناؤها باللغة العربية ، وأنشد شعراؤها ، وصنف أدباؤها فيها ، فقد أعرب العرب الأقحاح المهاجرون في هذه البلاد البعيدة عن مواطنهم الأولى عن أحاسيسهم ومشاعرهم ومشاكل البلاد ، وسياستها في لغتهم العربية الحبيبة ، ومن هذه البلاد "خراسان" التي تتألف في اللغة الفارسية من كلمتين : "خر" ومعناها الشمس ، و "أسان" ومعناها المشرقة ، فهي بلاد الشمس المشرقة التي تشمل مساحة واسعة تقع إلى الشرق من بلاد فارس ، وتترامى إلى نهر جيحون ، وهي مقسومة في الوقت الحاضر بين ثلاث دول ، هي الاتحاد السوفيتي ، وأفغانستان ، وإيران ، فتحها العرب في أيام خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، واستعادها عبد الله بن عامر في خلافة عثمان بعد تمردها وطغيانها ، ثم إنها ظلت تحت سيادة الدولة الأموية إلى أن ظهرت منها الثورة العباسية ، التي قضت على الدولة الأموية ، وإن خراسان من بلاد العجم ، التي كانت أرضها خصبة

للعلوم العربية ، والحضارة الإسلامية ، فإنها أنجبت أعيان العلم والأدب ، وسادات الفكر والفن ، مثل : محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج القشيري ، وأبي عيسى الترمذي ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وأبي حامد الغزالي ، والجويني : إمام الحرمين ، والحاكم أبي عبد الله النيسافوري ، وغيرهم من أهل الحديث والفقه ، ومثل : الأزهري ، والجوهري ، وعبد الله بن المبارك ، والفارابي : صاحب "ديوان الأدب" ، والهروي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وأبي القاسم الزمخشري ، وعطاء الخراساني ، وغيرهم من أهل الأدب .

ويتضح للباحث من خلال الدراسة لشعر الشعراء العرب الذين توطنوا في أرض خراسان النائية من وطنهم الأصلي بأنهم جعلوا همهم أن يعرضوا كل المسائل الإدارية والسياسية ، والمشاكل العصبية والقلبية ، والفتن الداخلية بأرض خراسان ، كما وجهوا جل وجهتهم إلى أن يسجلوا الغزوات الخارجية ، فيقول أنس بن أبي أناس مشيراً إلى عزله عن ولاية خراسان ، وتوليته خليد بن عبد الله الحنفي عليها مكانه ، ومصوراً سخطه على سياسة زياد ، ورأيه في بني حنيفة (١) :

ألا مَنْ مُبلغٌ عني زياد ☆ مُغَلغَلَةً يَخُبُّ بها البريدُ
أتَعْزِلني و تُطعِمُها خليداً ☆ لقد لاقت حنيفةُ ما تريدُ
عليكم باليمامة فاحرُثوها ☆ فأولكم و آخركم عَبِيدُ

كان العرب بخراسان مفترقين إلى كتلتين تتنافسان ، وتتصارعان طويلاً ، وتتوادعان ، وتتصافيان قليلاً ، وهما كتلة الازد وبكر وعبد القيس ، وكتلة تميم وقيس ، وكان هذا التكتل يرجع في جوهره إلى طغيان العصبية القبلية ، واحتدام المنافسة السياسية ، يقول العنبري التميمي واصفاً الفتنة

(١) الطبري : ١٥٥/٧ .

التي اندلعت بالبروقان بين هاتين الكتلتين ، وانتهت بانهزام الازد وبكر (١).

أتاني و رَحْلي بالمدينة وَقْعَةٌ
لآل تميم أرجفتْ كلّ مُرجف
تظلُّ عيونُ البُرقتين بكر بن وائل
إذا ذكرت قتلى البروقان تذرف
هم أسلموا للموت عمرو بن مسلم
و ولّوا شلالاً و الأسنة ترعَف
و كانت من الفتيان في الحرب عادةٌ
و لم يصبروا عند القنا المتقصّف

وقال كعب الأشقري مشيراً إلى المزائم المتتالية التي ألحقها قتيبة ابن مسلم بالصغد (٢) :

كل يومٍ يَحوى قتيبة نهبا ☆ و يزيد الأموال مالا جديدا
باهليّ قد ألبس التاج حتى ☆ شابَ منه مفارقٌ كنَّ سُودا
دوخ الصغدَ بالكتائب حتى ☆ ترك الصغد بالعراء قعودا
فوليدٌ يبكى لفقد أبيه ☆ وأبٌ مُوجعٌ يبكى الوليدا
كلّما حلَّ بلدة أو أتاها ☆ تركت خيلُه بها أُخدودا

وعند ما تهاون سعيد بن عبد العزيز بعض التهاون في مجابهة الصغد ، و واجه الثائرين بسمرقند متخاذلاً متراخياً ، قال الهجري يهجوه هجاء فيه التحقير له ، والتشنيع عليه ، إنه يكشف عن رأى جنوده في قيادته العسكرية ، وإدارته المدنية (٣) :

(١) الطبري : ١٤٧٧/٩ .
(٢) ابن الأثير : ٥٧٥/٤ .
(٣) أنساب الاشراف - للبلاذري أحمد بن يحيى : ١٦١/٥ .

سريتَ إلى الأعداء تَلْهُو بِلعْبَـةٍ
و أيدُكَ مسلولٌ و سيفكَ مُغْمَدُ
و أنت لمن عاديت عِرْسٌ حَفِيَّةٌ
و أنت علينا كالحسام المُهَنَّد
فلله درّ الصغد لما تحزَّبوا
و يا عجباً من كيدِكَ المُتَرَدِّدُ

فالشعر العربي بخراسان في مجموعة إعلانات سياسية عن مواقف قبائل الشعراء من الأحداث الداخلية المفاجئة ، و "بلاغات عسكرية" عن نتائج الوقائع الحربية التي خاضها الشعراء داخل خراسان وخارجها ، يتحدث الشعر العربي بخراسان في الأحداث الداخلية ، والأزمات السياسية عن معاداة عبد الله بن خازم لبكر ، ومخالفة تميم له ، وفتكها به ، وما نشأ عنه من تطاحن عشائرها ، وعن اجتماع الأزد وبكر وتميم على خلع قتيبة بن مسلم ، واغتيالها له ، وما نجم عنه من ادعاء كل قبيلة منها ، إنها هي التي وثبت به ، لأنها كانت أحرص على طاعة الخليفة ، وعن الفتنة الأخيرة بين اليمنية والمضرية وتطوراتها ، ويؤكد هذا الشعر بمجموعه أن العصبية القبلية ، والمحالفات الحزبية ، وما ارتبطت به من المنافع السياسية والمادية كانت مصدر كل خلاف وتباغض واقتتال ، فقد سيطرت كل هذه العوامل على وجدان كل قبيلة ، وحددت اتجاهها وسياستها ، وحملتها على إهمال فكرة الأمة والوحدة ، وإيثار مصلحة الجماعة على مصلحتها ، فقلما أثار هذا الإحساس قلوب زعمائها وشعرائها ، وقلما خفف من حميتهم لقبائلهم و حلفائها ، و حتى من كانوا يتخلون عن عصبيتهم في بعض الأحيان ، فقد كانوا لا يلبثون أن يعودوا إليها ، وأما الأشعار التي لهج بها الشعراء في الوقائع الحربية بخراسان ، وطخارستان ، والختل ، وخوارزم ،

وسمرقند ، والشاش ، وفرغانة ، فيلتقى فيها تيار العصبية بتيار القومية التقاء ضعيفاً متقطعاً ، فتغلب عليها الصفات الفردية ، والقبلية ، والحزبية ، وتتضح هذه الصفات بصورة عامة في اعتداد الشعراء الفرسان ببطولاتهم في القتال ، وأدوار قبائلهم وحلفائهم في النضال ، فنرى أن كعب الأشقري ، ونهار بن توسعة البكري ، يفخمان فتوحات قتيبة بن مسلم ، القائد المظفر الموفق ، مسحورين ببطولاته الرائعة بحيث إنهما تناسيا قبائلهما وذواتهما ، و تغلغلت في نفوسهما فكرة الأمة و الوحدة ، و لكنهما سرعان ما يتذكران العصبية القبلية ، فيتنازلان عن موقفهما من قتيبة ، ويتحللان من مديحهما له معتذرين عنه بأنه كان موقفاً انفعالياً عاطفياً ، ومديحاً مؤقتاً اضطرارياً (١) .

ولم يتطرق الشعراء العرب بخراسان إلى الموضوعات التقليدية من مديح ، وهجاء ، وفخر ، ورثاء ، إلا قليلاً ، ونراهم قد يلحون في مدحتهم على المعاني الجاهلية ، وقد يركزون على المعاني الإسلامية ، وقد يراوحون بينهما جميعاً ، خضوعاً لحالتهم النفسية ، وثقافتهم الشخصية ، تطغى المعاني التقليدية في مدحتي كعب الأشقري (٢) ، وحاجب بن ذبيان المازني (٣) ليزيد بن المهلب ، وتظهر المعاني التجديدية في مدحتي الفرات الشنى لقتيبة بن مسلم ، ويزيد بن المهلب (٤) ، ونستشف من أهاجيهم بأنها كانت بواعثها وأهدافها شخصية أو قبلية أو حزبية ، ومن الشواهد على

(١) الشعر والشعراء : ٥٣٧/١ .
(٢) الطبري : ٧٩/٨ .
(٣) الأغاني (دار الكتب) : ٢٦٦/١٤.
(٤) معجم الشعراء : ص/١٩٠.

ذلك هجاء مالك بن الريب التميمي لسعيد بن عثمان (١) ، وهجاء أبي السفاح لأمية بن عبد الله (٢) ، و هجاء زياد الأعظم المغيرة بن حبناء التميمي (٣) ، و هجاء تقاذف به كعب الأشقري ، و زياد الأعظم (٤) ، إنهم يتكئون في جانب كبير من أهاجيهم على المثالب التي اتكأ عليها الشعراء المجاؤون في الجاهلية ، وأحياناً ما يطعنون في إسلام بعض مهجويهم ، ويتهمونهم بضعف العقيدة ، ويظهر أن الشعراء العرب بخراسان ، وخاصة شعراء قيس ، وتميم ، اتجهوا بالفخر اتجاهاً جديداً ، غيروا به مضمونه الجاهلي ، لأنهم اعتدوا فيه اعتداداً قوياً بحاضر قبائلهم ، ومواقفها المؤيدة للمصلحة العامة ، واستمدوا فيه استمداداً محدوداً من ماضيها وتاريخها القديم ، وتعد القصيدة للأصم بن الحجاج الباهلي من أدق القصائد تمثيلاً لصورة الفخر الجديدة (٥) ، ويتضح أنهم لم يرثوا إلا أولي القربى من الأخوة والأولاد ، والولاة ، وإلا العمال الذين كانوا يحابونهم ، ويمالئون قبائلهم ، وذلك بين في رثاء موسى بن عبد الله لأخيه محمد (٦) ، وفي رثاء نصر بن سيار لابنه تميم (٧) ، وفي رثاء عبد الرحمن الباهلي لقتيبة بن مسلم (٨) وفي رثاء ابن عرس العبدي لأسد بن عبد الله القسري (٩) ، إنهم لم يبتدعوا معاني في الرثاء ، ولم يعدلوا في أسلوبه أي

(١) الطبري : ١٧٩/٧.
(٢) معجم الشعراء : ص/٥٠
(٣) الأغاني : ٩٠/١٣ .
(٤) الأغاني : ٢٨٧/١٤-٢٨٨ .
(٥) الطبري : ١٣٠٣/٩ .
(٦) معجم الشعراء : ص/٢٨٧ .
(٧) الدينوري : ص/٣٥٥ .
(٨) الطبري : ١٣٠٣/٩ .
(٩) ابن الأثير : ٢١٧/٥ .

تعديل ، وإنما احتذوا فيه بالمرثية الجاهلية أدق الاحتذاء بحيث ابدأوا وأعادوا في معانيها ، وقوالبها التعبيرية ، وهم يندبون أو يؤبنون أو يعزون (١) .

وتغلب المقطوعات على الشعر العربي بخراسان ، لأنه كان في جملته وليد الأحداث الطارئة ، واستطاع شعراء العرب بخراسان أن يهدروا في مقطوعاتهم أكثر التقاليد الفنية المرعية عند الشعراء الرسميين ، كالمقدمة ، و وصف الناقة والصحراء ، وتصوير مناظر الصيد ، بمقطوعاتهم تدور على موضوعات محددة لا يصح التفريع أو الاستطراد فيها ، بل يجب تكثيفها وتركيزها ، وأما القصائد الطويلة القليلة نظفر بها ، والتي تأنوا في نظمها بحكم اتساع الوقت وانفساحه ، فنراهم احتفظوا فيها بالمقدمة الغزلية ، والمقدمة الطللية ، ولكنهم تحولوا بالمقدمة الأولى إلى ما يشبه مقدمة الفروسية البطولة ، كما يظهر في مقدمة الشرعبى الطائي لقصيدته العينية التي ذم فيها جنيد بن عبد الرحمن لانهزامه في أول معركة الشعب (٢) ، وبالمقدمة الثانية إلى ما يشبه مقدمة الحنين إلى الوطن والأهل ، ومن أول الشواهد على هذا التحول مقدمة للمغيرة بن حبناء التميمي مهّد بها لمديحة قتيبة بن مسلم (٣) ، ومقدمة لثابت قطنة استهل بها مدحة له في نصر بن سيار ، انظر كيف يقول (٤) :

ما هاج شوقك من نوى و أحجار
و من رسوم عفاها صوب أمطار
لم يبق منها و من أعلام عرصتها
إلا شجيج و إلا موقد النار

(١) الرثاء -للدكتور شوقي ضيف : ص/١٢ ، ٥٤ ، ٨٦ .
(٢) الطبري : ١٥٥٤/٩ .
(٣) الطبري : ١٢٢٦/٨ .
(٤) الطبري : ١٥١٠/٩ .

و مائل في ديار الحي بعدهم
مثل الرَّبيئة في إهدامه العاري
ديار ليلى قفار لا أنيس بها
دون الحجون و أين الحجن من داري
بدلت منها و قد شط المزار بها
وادي المخافة لا يسرى بها الساري
بين السماوة في حزم مُشرّقة
و معنق دوننا آذ به جاري
نقارع الترك ما تنفك نائحة
منا و منهم على ذي نجدة شاري

ونلاحظ أن أساليب الشعراء العرب متينة ناصعة تجرى على النمط الجاهلي في بناء الجملة ، وتشبه أساليب الجاهليين شبهاً قوياً ، وتسود في مقطوعاتهم وقصائدهم كلمات صعبة تحتاج إلى الاستخراج ، وتتناثر في بعضها أبيات تخفى معانيها ، وتستغلق مقاصدها ، كما تنتشر في بعضها الجوازات النحوية ، وتعم في بعضها الضرورات العروضية ، ويجدر بالذكر أن الشعراء العرب مع اختلاطهم بأهل خراسان لم يكثروا من استعمال الكلمات الفارسية ، كما لم يعيروا بيئة خراسان الطبيعية والسكانية أي اهتمام .

☆☆☆

الفقه الإسلامي :

السيدة عائشة رضي الله عنها : القدوة المثلى في العلم والأدب

بقلم : الأستاذ أحمد علي
(أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، والدراسات الإسلامية ، جامعة شيتاغونغ ، بنغلاديش)

السيدة الفاضلة الكريمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (١) كبيرة محدثات عصرها ، ونابغته في الذكاء ، والفقه والبيان ، قد جمعت بين علم القرآن والحديث وفقه الأحكام ، كما جمعت بين التاريخ والأدب والطب ، فكان يرجع إليها الصحابة الأجلاء في كثير من أمور العلم والدين ، ولبث الخلفاء الراشدون يرعون منزلتها ، ويشاورونها ويسألونها المسائل ، ويرجعون إلى رأيها ، وقد كانت لها خطوة بالغة في نشر تعاليم القرآن والسنة ، حتى قيل : "حُمل عنها ربع الشريعة" (٢) ، وروى عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : "خذوا شطر دينكم عن هذى الحميراء" (٣) ، وهو حديث لم يثبت بالسند الصحيح ، ولكن الحق الذي لامراء فيه أن المسلمين قد عرفوا الكثير من أمر نبيهم وأمر دينهم من أحاديثها ، وقال الزهري : "لو جمع علم عائشة رضي الله عنها بعلم جميع أزواج النبي الكريم ﷺ ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل" (٤) ، وفي رواية "أكثر" - (٥) فكانت في حياتها الزاهرة نماذج مثالية لنساء الإسلام يجب الوقوف عندها والاقتفاء أثرها ، فلنأخذ فيما يلى بشخصيتها العلمية والأدبية من جهات مختلفة للبحث والتقدير .

★ علم السيدة عائشة بالقرآن : كانت السيدة عائشة تعى القرآن الكريم وتعلم معانيه وأسراره وموارده ، وتلمّ بكيفية النطق به ، حيث كانت تعد

فيه من أبرع الناس وأعلمهم ، قال عروة بن الزبير ﷺ : "ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن من عائشة رضي الله عنها" (٦) ، وعن أبي سلمة قال : "ما رأيت أحداً أعلم منها بآية فيما نزلت" (٧) ، لا غرو في ذلك فإن القرآن ما كان ينزل على النبي الكريم ﷺ إلا تسمعه وتعيه ، وربما كانت تشهد نزول القرآن الكريم ، وكيفيته ومظهره إذ نزل كثير من أجزائه ، وكان النبي الكريم ﷺ عندها أو على فراشها ، وكانت تصغي من خلفه إلى ما يقرأ في صلوات الليل من السور الطوال ، فكان طبيعياً لمثل هذه العبقرية الواعية المتفقهة أن تعي ما تسمع من القرآن ، وأن تجمع كل البراعة في كيفية النطق به ، ومعانيه وأسراره ، واستخراج المسائل منه .

فكانت تجتهد وترى في أمور الدين وأصوله وفروعه آراء ترجع إلى فهم القرآن ، ربما كانت تنفرد باجتهادها ورأيها ، وتستدرك به على علماء الصحابة حتى إن بدر الدين الزركشي ألف كتاباً خاصاً في هذا المعنى ، سماه : "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" .

رواياتها في تفسير القرآن الكريم - التي توجد في كتب الحديث والتفسير - كثيرة ، تدل على دقة بصيرتها ورسوخها في فهم القرآن وسعة اطلاعها على موارده ومظاهره تجعلها المرجع الثقة أبداً ، من ذلك ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير ، قال : سألت عائشة رضي الله عنها ، فقلت لها : أرأيت قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله * فمن حجّ البيت أو اعتمر * فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما ﴾ ، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة ، فقالت له : بئس ما قلت ، يا ابن أختي ! إن هذه الآية لو كانت كما أولتها لكانت : ﴿ لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ﴾، ولكن الآية نزلت في الأنصار ، كانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يهلون لمناة الطاغية - أي : يطوفون أو يتمسحون بهذا الصنم ، وكان قريباً من الصفا و المروة ، فلما أسلموا ، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقالوا : يا رسول

الله ! إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله هذه الآية ، ثم قالت : "وقد سن رسول الله الطواف بهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما" (٨) .

نلاحظ أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد أرشدت ابن أختها عروة ابن الزبير إلى التفسير الصحيح للآية الكريمة حيث بينت له أن الآية ، قد نزلت لتبيح للمسلمين السعي بين الصفا والمروة بعد أن كان بعضهم يتحرج من ذلك ، يدل ذلك على غورها في فهم القرآن ، وشمول علمها بموارده وسعة اطلاعها على لغة العرب ، ومحاوراتهم ، والأمثلة كثيرة .

★ علم السيدة عائشة بالحديث النبوي ﷺ :

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها ملمة بسنة رسول الله ﷺ ، واعية لأحاديثه الشريفة ، وكانت من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي ﷺ ، قد بلغت فيه مكانة عجزت دونها الرجال ، فضلاً عن النساء ، فعن أبي سلمة ﷺ ، قال : "ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ" منها (٩) .

قد روت عن رسول الله الكثير الطيب وروت أيضاً عن أبيها ، وعن عمر بن الخطاب ، وفاطمة الزهراء ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسيد بن حضير ، وحمزة بنت عمرو الأسلمي ، وجذامة بنت وهب ﷺ (١٠) ، يبلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث [٢٢١٠] في مختلف المسائل التي تدخل فيها الأحكام الشرعية ، والعظات الخلقية ، والآداب النفسية ، والأصول التي يرجع إليها في الدين والعبادة ، أخرج لها البخاري ومسلم في الصحيحين مأتين وسبعة وتسعين [٢٩٧] حديثاً (١١) ، والمتفق عليها منها مائة وأربعة وسبعون [١٧٤] حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين [٥٤] حديثاً (١٢) ، وتفرد مسلم بتسعة وستين [٩٦] حديثاً (١٣) ، والبقية في غيرهما من كتب الحديث .

وبذلك قد تعد من المكثرين (١٤) في الرواية ، وقد جعل بعض العلماء

المكثرين سبعة (١٥) ، وهم :

١- أبو هريرة ﷺ (٢١/ق هـ - ٥٩هـ) مروياته : ٥٣٩٤ (١٦) .
٢- عبد الله بن عمر ﷺ (١٠/ق هـ - ٧٣هـ) مروياته : ٢٦٣٠ (١٧) .
٣- أنس بن مالك ﷺ (١٠/ق هـ - ٩٣هـ) مروياته : ٢٢٨٦ .
٤- السيدة عائشة (٩/ق هـ - ٥٨هـ) مروياته : ٢٢١٠ .
٥- عبد الله بن عباس (٣/ق هـ - ٦٨هـ) مروياته : ١٦٦٠ .
٦- جابر بن عبد الله (١٦/ق هـ - ٧٨هـ) مروياته : ١٥٤٠ .
٧- أبو سعيد الخدري (١٠/ق هـ - ٧٤هـ) مروياته : ١١٧٠ .

وأنشد البعض فيهم :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضـــر
أبو هريـرة ، سعد ، جابر ، أنس
صديقة و ابن عباس كذا ابن عمر (١٨)

لا غرابة في هذا العدد الجم الذي روته من الأحاديث ، فقد عاشت في بيت النبوة ، وعايشت أندى لحات الحياة في جوار الرسول الكريم ﷺ ، ومع ومضات الإشراق الروحي ، وعند غدوات الوحي وروحاته ، كانت تعيش سعيدة بما ترى واعية لما تسمع .

روى عنها من الصحابة عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وعمرو ابن العاص ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عباس ، والسائب بن يزيد (١٩) ، والحارث بن عبد الله بن نوفل (٢٠) ، وربيعة بن عمرو الجرشي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وصفية بنت شيبة وغيرهم .

ومن آل بيتها أختها أم كلثوم ، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث بن الطفيل ، وابنا أخيها القاسم ، وعبد الله ، ابنا محمد بن أبي بكر

الصديق ، وبنتا أخيها الآخر حفصة ، وأسماء ، بنتا عبد الرحمن بن أبي بكر ، وابن ابن أخيها عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وابنا أختها عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أسماء بنت أبي بكر ، وحفيد أسماء عباد وحبيب ولدا عبد الله بن الزبير ، وحفيد عبد الله عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبنت أختها عائشة بنت طلحة من أم كلثوم بنت أبي بكر ، ومواليها أبو عمر وذكوان وأبو يونس وابن فروخ .

ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب ، وعلقمة بن قيس ، و مسروق بن الأجدع ، وعمرو بن ميمون ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، و همام بن الحارث ، و أبو عطية الوادعي ، و أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن حكيم ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وأبناه أبو بكر ومحمد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، والأسود بن يزيد النخعي ، وأيمن المكي ، وثمامة بن حزن القشيري ، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وحمزة بن عبد الله بن عمر، وخباب صاحب المقصورة ، وسالم بن سيلان ، وسعد بن هشام بن عامر ، وسليمان بن يسار ، وأبو وائل ، وشريح بن هانئ ، وذر بن حبيش ، وأبو صالح السمان ، وعباس بن ربيعة ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص ، وطلحة ابن عبد الله بن عثمان ، وطاؤوس ، وأبو الوليد عبد الله بن الحارث البصري ، وعبد الله بن شقيق العقيلي ، وعبد الله شهاب الخولاني ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله البهي ، وعبد الرحمن بن شماسة ، وعبيد بن عمير الليثي ، وعراك بن مالك ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعكرمة ، وعلقمة بن وقاص ، وعلي بن الحسين ابن علي ، وعمران بن حطان ، ومجاهد بن جبر ، وكريب ، ومالك بن أبي عامر الأصبحي ، وفروة بن نوفل الأشجعي ، ومحمد بن قيس بن مخرمة ، ومحمد بن المنتشر ، ونافع بن جبير بن مطعم ، ويحيى بن يعمر ، ونافع

مولى ابن عمر ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وأبو الجوزاء الربعي ، وأبو الزبير المكي ، وخيرة أم الحسن ، وصفية بنت أبي عبيد ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة سيرين ، ومعاذة العدوية ، وأم عيسى بن عبد الرحمن السلمي ، ومجاهد ، ونافع (٢١) .

وأصح أسانيدها ما رواه يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر بن حفص عن القاسم بن محمد عنها ، وما رواه الزهري أو هشام بن عروة ابن الزبير عنها ، وأضعف أسانيدها ما رواه الحارث بن شبل عن أم النعمان عنها (٢٢) .

ما كانت السيدة تكثر في الرواية ، بل كانت تجمع بين التمحيص والتنقيب ، وهي من أصحاب الدراية في الحديث ، لم يشترك معها في ذلك غير ابن عباس ، فما كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه ، حتى تعرفه ، وكانت واقفة بالمرصاد لأجلة الصحابة تصحح لهم ، كلما رأت خطأ في حديث يحدثون به أو في أثر ينسبونه إلى النبي الكريم ﷺ .

قد ذكر الزركشي في كتابه - الذي ذكرته سابقاً - ما استدركته عائشة على عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، ومروان بن الحكم ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وزينب بنت أرقم ، والبراء بن عازب ، وعبد الله بن الزبير ، وعروة بن الزبير ، وجابر ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي الدرداء ، وعبد الرحمن بن عوف ، وفاطمة بنت قيس ، وأزواج النبي الكريم ﷺ ، و عبد الله بن عباس ، و عمر بن الخطاب فيما يحدثون عن النبي الكريم ﷺ .

لا بأس هنا بإيراد بعض استدراكاتها - علي سبيل المثال - على أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص أودعتهما نكتة لاذعة ، كثيراً ما كانت ترسل أمثالها في استدراكاتها عليهم .

روى أن رجلين دخلا على عائشة ، فقالا : إن أبا هريرة يحدث أن رسول الله ﷺ قال : إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة ، فطارت شقفا ، ثم قالت : كذب ، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ، من حدث بهذا عن رسول الله ﷺ ، إنما قال رسول الله ﷺ : "كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة في الدابة والدار والمرأة" ، ثم قرأت : ﴿ ما أصابكم من مصيبة في الأرض * ولا في أنفسكم ﴾ (٢٣) .

وروى أنها بلغها أن ابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقض رؤوسهن ، فقالت : "يا عجباً لابن عمرو ! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقض رؤوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ؟ لقد كنت اغتسل أنا ، ورسول الله من إناء واحد ، وما أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات" (٢٤) .

★ علم السيدة عائشة بالفقه والفرائض :

كانت السيدة عائشة كبيرة فقيهات ومفتيات عصرها ، وهي من أعلم الناس بالفقه والأحكام والفرائض ، روى عن عروة عن أبيه الزبير ، قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ، ولا بفريضة ، ولا بحلال ، ولا بحرام ، ولا بشعر ، ولا بحديث العرب ، ولا بنسب من عائشة أكثر" (٢٥) ، وقال عطاء بن رباح : "كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة" (٢٦) ، وقال الذهبي : "إن عائشة أفقه نساء الأمة" (٢٧)، فكانت تأتيها أصحاب محمد ﷺ الأكابر يستفتونها ويسألونها المسائل والفرائض ، فتجيبهم جواباً مشبعاً بروح التحقيق والتروى مما لا يتسنى إلا لمن بلغ في الفقه والاجتهاد مقاماً علياً ، قال أبو موسى الأشعري : ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ قط شئ ، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً" (٢٨) لا بأس ههنا بإيراد ما أخرج الطحاوي على سبيل المثال : "روى أنه اختلف المهاجرون والأنصار في وجوب الغسل عند مخالطة الرجل

زوجته دون إنزال ، قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك ، فنهضت فاستأذنت على عائشة ، فأذن لي ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ! أو يا أماه ! إني أريد أن أسألك عن شئ ، وأنا استحييك ، فقالت : لا تستحيي إن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك ، قلت : إذا التقى الختانان أيجب الغسل ؟ فقالت : "كان رسول الله ﷺ إذا التقى الختانان اغتسل" (٢٩) .

قد عدّ بعضهم الصحابة الذين حُفظت عنهم الفتاوى مائة ونيفاً ، وثلاثين نفساً ما بين رجل وامرأة وجعلوهم بحسب عدد فتاواهم على ثلاثة أقسام :

١- المكثرون : هم الذين يمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم .

٢- المتوسطون : هم الذين يمكن أن تجمع من فتوى كل واحد منهم رسالة .

٣- المقلون : هم الذين يمكن أن تجمع من مجموع فتاواهم رسالة (٣٠) .

وجعلوا عائشة من القسم الأول ، وهم سبعة نفر : عمر بن الخطاب ، و علي بن أبي طالب ، و عبد الله بن مسعود ، و عائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، يمكن أن تجمع فتاوى السيدة عائشة التي انتشرت في كتب الحديث في أسفار ضخمة مستقلة ، فكانت بعد النبي الكريم ﷺ المرجع الثقة الأولى في الفقه ، والفتيا ، يأتيها أصحاب النبي الكريم ﷺ مهما أشكل عليهم ، حتى عمر و عثمان بعده يرسلان إليها ، فيسئلانها عن السنن (٣١) ، قال القاسم : "كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وهلم جرّا إلى أن ماتت" (٣٢) ، وقال مسروق الهمداني : "رأيت مشيخة أصحاب محمد

الأكابر يسألونها عن الفرائض" (٣٣) ، فقد لعبت دوراً هاماً في نشر الأحكام الشرعية ، وبخاصة ما كان رسول الله ﷺ يصنعه في بيته ، ومع زوجاته.

★ الهوامش :

(١) السيدة عائشة (٩/ق هـ - ٥٨هـ/٦١٣-٦٧٨م) : هي زوج النبي الكريم ﷺ وبنت صديقه ، أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر شخصاً ، بني بها رسول الله ﷺ ، وعمرها تسع سنين ، وكانت نامية الجسم ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً سواها ، وقد نشأت منذ باكورة صباها ، و فجر حياتها نشأة طاهرة مباركة ، وكبرت وترعرت في منزل الوحي ، فكان طبيعياً أن تجمع كل المحامد الفاضلة ، والمعاني النبيلة ، ومكارم الأخلاق ، حسبها شرفاً وفخراً أن الله أنزل في شأنها قرآناً بعد حادثة الإفك المشهورة ، فبرأها من افتراء الأفاكين ، كانت وفاتها عام ٥٧هـ على الأصح ، وصلى عليها أبو هريرة .

(٢) أبو عبيدة ، مشهور بن حسن ، عناية النساء بالحديث النبوي ، دار ابن عفان ، المملكة العربية السعودية ١٩٩٧م : ص/٥٤ ، (نقلاً عن الإجابة للزركشي) .

(٣) مبيض ، محمد سعيد ، موسوعة حياة الصحابيات ، مكتبة الغزالي ، إدلب ، سوريا ١٩٩٠م : ص/٥٦٤ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٨٥٣م : ج/٤ ، جزء/٨ ، ص/١٤٠ .

(٥) الشوكاني ، محمد بن علي ، در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ، مؤسسة الرسالة بيروت : ص/٣٢١ .

(٦) كحالة ، عمر رضا ، أعلام النساء ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩١م : ج/٣ ، ص/١٠٥ .

(٧) ندوي ، سيد سليمان ، سيرت حضرت عائشة ، أردو أكيدمي سندھ - كراتشي ١٩٨٤م : ص/١٧١ .

(٨) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الصحيح ، مكتبة مصطفائي ، ديوبند (الهند) : ٢٢٢/١ .

(٩) ندوي ، المصدر السابق : ص/١٧١ .

(١٠) ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق : ج/٤ ، جزء/٨ ، ص/١٤١ .

(١١) وقيل : ٢٨٦/حديثاً (ندوي ، المصدر السابق : ص/١٨٨) .

(١٢) وفي فتح القدير للعراقي : إن البخاري انفرد بأربعة وسبعين حديثاً .

(١٣) وفي فتح القدير للعراقي : إن مسلماً انفرد بثمانية وعشرين ، وقيل : خمسين ، وقيل : ستين ، وفي الكمال : بثمانية وستين حديثاً .

(١٤) المكثر : من زادت أحاديثه على ألف .

(١٥) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، يلقح فهوم أهل الأثر ، الهند : ص/١٨٤ .

(١٦) كحالة ، المصدر السابق : ج/٣ ، ص/١٠٨ ، وقيل : ٥٣٧٤ ، وقيل : ٥٣٦٤ .

(١٧) الصالح ، د/صبحي ، علوم الحديث ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩١م : ص/٣٥٤ ، وقيل : ٢٦٣٨ .

(١٨) ابن الجوزي ، المصدر السابق : ص/٣٦٣ .

(١٩) قيل : السائب بن زيد .

(٢٠) قيل : عبد الله بن الحارث بن نوفل .

(٢١) ابن حجر ، المصدر السابق : ج/٤ ، جزء/٨ ، ص/١٤١ ، كحالة ، المصدر السابق : ج/٣ ، ص/١٠٨-١٠٩ .

(٢٢) الصالح ، المصدر السابق : ص/٣٦٦ .

(٢٣) ابن حنبل ، أحمد ، المسند : ج/٦ ، ص/٣٤٦ ، وأخرج في صفحة/٢٤٠ بلفظ آخر .

(٢٤) مسلم ، أبو الحسين ، الصحيح : ج/١ ، ص/١٥٠ ، دار الإشاعة الإسلامية كلكتا .

(٢٥) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، صفة الصفوة : ج/٤ ، ص/٣٥ ، دار المعرفة بيروت .

(٢٦) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي الجزري ، أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج/٥ ، ص/٥٠٤ ، المكتبة الإسلامية طهران .

(٢٧) كحالة ، المصدر السابق : ج/٣ ، ص/١٠٦ .

(٢٨) الترمذي ، أبو عيسى محمد ، الجامع : ج/٢ ، ص/٢٢٧ ، المكتبة الرشيدية ديوبند .

(٢٩) الطحاوي ، أبو جعفر أحمد ، شرح معاني الآثار : ص/٢٩ ، المكتبة الرحيمية ديوبند .

(٣٠) ندوي ، المصدر السابق : ص/٢٦٨ .

(٣١-٣٢-٣٣) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى : ج/٢ (قسم/٢) ص/١٢٦ ، دار صادر بيروت ١٩٥٨م .

ختم القرآن في التراويح

بقلم : الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
أستاذ بالمعهد العالي الإسلامي - حيدرآباد (الهند)

أما قضية ختم القرآن في التراويح مرة ، ففي صددها ثلاثة أقوال ، وهي كما يلى :

١- يستحب أن يختم القرآن في التراويح مرة ، وهو مذهب الحنابلة والمالكية والشافعية ، فقال العلامة الخرشي المالكي : "يستحب ختم القرآن كله في التراويح أي في جميع الشهر إن أمكن" (١) .

ونقل العلامة الجزيري مذهب المالكية بشئ من التفصيل والوضوح : "قالوا : يندب للإمام قراءة القرآن بتمامه في التراويح جميع الشهر ، وترك ذلك خلاف الأولى" (٢) .

ويقول الإمام النووي : "وأما القراءة ؛ فالمختار الذي قاله الأكثرون ، وأطبق الناس على العمل به أن تقرأ الختمة بكمالها في التراويح جميع الشهر" (٣) .

وقال في فتح االعلام : "الأفضل فعلها بالقرآن كله في جميع الشهر بأن يقرأ كل ليلة جزءاً" (٤) .

ويقول الفقيه المعروف العلامة ابن قدامة : "قال القاضي : لا يستحب النقصان عن ختمة في الشهر" (٥) .

(١) الخرشي على مختصر سيدي خليل : ٨/٢/١ .

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة : ٣٤٣/١ .

(٣) الأذكار : ص/٢٤٣ ، تحقيق أحمد عبد الله باجور .

(٤) فتح العلام : ٢٨/٢ .

(٥) المغني : ٤٥٧/١ .

٢- والقول الثاني أن القرآن ختمه في التراويح مرة سنة غير مؤكدة ، وهو مذهب جميع الفقهاء سوى المالكية ، كما صرح به العلامة الجزيري : "تُسنّ قراءة القرآن بتمامه فيها بحيث يختمه آخر ليلة من الشهر ، إلا إذا تضرر المقتدون به ، فالأفضل أن يراعى حالهم بشرط أن لا يسرع إسراعاً مخلاً بالصلاة ، وهذا متفق عليه إلا عند المالكية" (١) .

وإليه ذهب معظم الفقهاء من الحنفية ، وهو أنهم جوزوا تقليل القراءة حسب حال القوم من الرغبة والنشاط والكسل والتهاون ، وإن لم يكن ختم القرآن الكريم مرة في التراويح كله ، وذلك عند ما يخاف عليهم أن تطويل القراءة يوجب تنفيرهم عن الجماعة ، ويُبعدهم عنها فضلاً عن تشويقهم إليها ، لأن تكثير الجماعة أفضل من تطويل القراءة ، فقال العلامة ابن نجيم المصري : "والجمهور على أن السنة الختم مرة ، فلا يترك لكسل القوم ... فالحاصل أن المصحّح في المذهب أن الختم سنة" (٢) .

ويقول ملك العلماء الكأساني : "وأما في زماننا ؛ فالأفضل أن يقرأ الإمام على حسب حال القوم من الرغبة والكسل ، فيقرأه قدر ما لا يوجب تنفير القوم عن الجماعة ، لأن تكثير الجماعة أفضل من تطويل القراءة" (٣).

٣- وعند بعض الفقهاء الحنفية : يسن الختم سنة مؤكدة ، وهو قول شارح الهداية صاحب النهاية ، وإليه يشير كلام صاحب الهداية : شيخ

(١) الفقه على المذاهب الأربعة : ٣٤٣/١ .

(٢) البحر الرائق : ٦٩/١ ، راجع أيضاً مراقى الفلاح مع حاشية الطحطاوي : ص/٦٢٦، والخافية بهامش الهندية : ٢٣٧/١ ، وكبيري شرح منية المصلى : ص/٣٨٨ ، والدر المختار ورد المحتار : ٤٦/٢ .

(٣) البدائع : ٢٨٩/١ ، راجع أيضاً جامع الرموز : ٩٦/١ ، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح : ص/٢٢٦ ، والبحر الرائق : ٦٨/٢-٦٩ ، والدر المختار والرد المحتار : ٤٦/٢.

الإسلام برهان الدين المرغيناني ، والمحقق ابن الهمام ، والعلامة الحلبي (١) ، فقال صاحب النهاية بوضوح : "والختم سنة مؤكدة" (٢) .

وقال المحقق ابن الهمام في شرح قول صاحب الهداية : "ولا يترك لكسل القوم" تأكيد في مطلوبية الختم ، وأنه تخفيف على الناس لا تطويل ، كما صرح به في النهاية : وإذا كان إمام مسجد حيّة لا يختم ، فله أن يتركه إلى غيره (٣) .

وأما أدلتهم ، فهي كما يأتي :

أ- عن أبي هريرة ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ فإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد ، فقال : ما هؤلآء ؟ فقيل : هؤلآء ناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلى ، وهم يصلون بصلاته ، فقال النبي الكريم ﷺ : "أصابوا ، ونعم ما صنعوا ، قال أبو داؤد : ليس هذا الحديث بالقوي ، مسلم ابن خالد ضعيف (٤) .

يفيد ذلك الحديث أن اعتناء الصحابة بأن يصلوا التراويح خلف إمام حافظ يدل على الاهتمام بختم القرآن الكريم فيها ، لأن كل واحد منهم كان يحفظ عن ظهر قلبه سوراً من القرآن الكريم لا محالة ، فساغ لهم أن يصلوها فرادى إن لم يكن هدفهم ختم القرآن .

ب- فكان جبرئيل يتعاهده في كل سنة ، فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان ، فلما كان العام الذي توفي فيه ، عارضه به مرتين ، كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها (٥) .

(١) الهداية وفتح القدير : ٤٦٩/١ ، كبيري : ص/٣٨٨-٣٨٩ .

(٢) حاشية الهداية -للعلامة عبد الحي اللكنوي : ١٣١/١ .

(٣) فتح القدير : ٤٦٩/١ .

(٤) أبو داؤد : أبواب شهر رمضان : ١٩٥/١ .

(٥) فتح الباري : ٣١/١ .

ج- و عن أبي عثمان النهدي قال : دعا عمر بن الخطاب بثلاثة قراء ، فاستقرأهم ، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ للناس ثلاثين آية ، وأمر أوسطهم أن يقرأ خمساً وعشرين ، و أمر أبطأهم أن يقرأ للناس عشرين آية ، وكذلك رواه الثوري عن عاصم (١) .

د- وجرى التوارث بالختم من خير القرون إلى يومنا هذا ، وثبت قطعاً من زمان عمر ، ومن قبله محتملاً (٢) ، وأكّد رسول الله ﷺ على متابعة سنن الخلفاء الراشدين والعض عليها بالنواجذ ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

فإنه من يعيش منكم بعدي ، فيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة (٣) .

س- وإن الختم في التراويح يرغّب الناس إلى حفظ القرآن ، ويشوقهم إليه ، وعلماً : أن قراءته في الصلاة أفضل من خارجها ، كما أفاد الإمام النووي (٤) .

---

(١) السنن الكبرى ، باب قدر قراءتهم في قيام شهر رمضان : ٤٩٧/٢ ، مصنف ابن شيبة : ٣٩٢/٢ ، واللفظ للبيهقي .

(٢) انظر رسائل الأركان للعلامة بحر العلوم : ص/١٣٩ .

(٣) أبو داؤد ، باب في لزوم السنة : ٦٣٥/٢ ، الترمذي ، أبواب العلم ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة : ٩٦/٢ ، و قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ابن ماجة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين : ٥/١ ، كلهم عن العرباض بن سارية ، واللفظ لأبي داؤد .

(٤) اعلم : أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة ، الأذكار ، فصل في الأوقات المختارة للقراءة : ص/١٥٠ .

ومن أهداف الختم الأساسية أن من لم يكن حافظاً ، فيسمع القرآن الكريم كله في الصلاة ، فيحظى بسعادتين من نفس القراءة فيها ، وسنة الختم في التراويح ، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو يلقي الضوء على وجه مشروعية التراويح : "ومن أجل مقصود التراويح قراءة القرآن فيها ، ليسمع المسلمون كلام الله" (١) .

ويقول العلامة الباجي المالكي : "إنما جعل ذلك في المساجد في رمضان ، لكي يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله ، وسماع كلام ربهم في أفضل الشهور" (٢) .

وقال العلامة ابن قدامة معزياً إلى القاضي عياض : "لا يستحب النقصان عن ختمه في الشهر ، ليسمع الناس جميع القرآن" (٣) .

وما سبق من الأدلة والبراهين لم يكن واحد منها يدل على كون الختم سنة مؤكدة في التراويح ، لأنها تطلق على عمل واظب عليه رسول الله ﷺ ، ولم يتركه إلا بعذر ، كما قال ملك العلماء الكأساني بعد ذكر اثنتي عشرة سنة للصلوات المفروضة الخمس : "وقد واظب رسول الله ﷺ عليها، ولم يترك شيئاً منها إلا مرة أو مرتين لعذر" (٤) .

وقال العلامة الحصكفي : "والشرط في المؤكدة المواظبة مع ترك ولو حكماً" (٥) .

ولم أر بعد الاستقراء والاستقصاء والتحقيق للغاية حديثاً مرفوعاً

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية : ١٤٧/١ ، ط/دار الكتب العلمية .

(٢) كتاب المدخل : ٨٩/٢ ، راجع أيضاً : الخرشي على مختصر سيدي خليل : ٨/٢/١ .

(٣) المغني : ٤٥٧/١ . (٤) البدائع : ٢٨٤/١ .

(٥) الدر المختار مع الرد : ١٠٤/١ .

يدل على ختم القرآن الكريم في التراويح ، وقد ثبت من حديث جبرئيل معارضة القرآن عليه في خارج الصلاة لا فيها بالتحقيق ، وأما حديث أبي ابن كعب أن النبي الكريم ﷺ شجع من كان يصلي خلفه صلاة التراويح من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فكان هذا التشجيع للصلاة مع الجماعة دون ختم القرآن الكريم ، وأما طلبهم حافظاً للتراويح ، فيستفاد منه اعتناؤهم بالختم ، لا الدلالة على كونه سنة مؤكدة ، وأثر عمر ﷺ موقوف لا مرفوع ، والسنة المؤكدة لا تثبت إلا بعمل رسول الله ﷺ ، وأما التوارث من خير القرون إلى يومنا هذا ، فلا شك فيه ، وجرى من العهد الفاروقي قطعاً دون العصر النبوي والصديقي ، كذلك لا يستدل على الختم من تقليل حفظ القرآن الكريم وإبقائه ، ومما لا ريب فيه أن التراويح عامل قوي يرغب الناس إلى حفظه ، وسبب عظيم لإبقائه في صدورهم ، وذريعة كبيرة تلفت أنظارهم إلى تعليمه الصبيان ، ولكن مع ذلك كله لا يقال : إن الختم ذريعة وحدها تؤدي إلى ترغيبهم إلى حفظه وإبقائه في النفوس ، لأنا نرى كثيراً من الحفاظ يعون القرآن عن ظهر قلبهم على رغم أنهم لا يصلون بالناس التراويح ، كذلك كثر حفظ القرآن الكريم ، وازدادت الرغبة إليه في العالم الإسلامي ، ولا يعتنون بختم القرآن في التراويح .

والنصوص والآثار التي استدل بها القائلون على كون الختم سنة مؤكدة ، حملها المجيبون على صيرورته استحباباً واعتناءً بالغاً ، وفي رأى كاتب السطور أن الختم ليس سنة مؤكدة ، بل سنة غير مؤكدة ، وأما السنة فلأنه ثبت من آثار الصحابة ، وغير مؤكدة لأنه لم يثبت أصلاً عن النبي الكريم ﷺ ، فضلاً عن المواظبة .

علماً : و ليس من المقصود أن الختم سنة غير مؤكدة ، فلا يحتاج إلى الاعتناء للغاية ، ويترك بالكسل والتهاون إراحةً للجسد وإرضاءً للنفس ، و ذلك معنى قول صاحب الهداية غالباً فيما أظن : "لا يترك لكسل

القوم" (١) ، وليس من الإنصاف والصواب أن يهمل الختم ويحرم الإمام الحافظ و ذوو الهمم العالية من الناس من أجره ، وذلك بأن بعضهم الكسالى لا يحضرون صلاة التراويح وإن اهتم الحافظ ختم القرآن الكريم ، وبالإضافة إلى ذلك أنها تجوز جالساً أيضاً بلا عذر كما مر تحقيقه ، فمن لا يستطيع على القيام فليصل جالساً ، وقد سهّلها الشرع الإسلامي ، وجعلها الميسورة ، وخففها رحمة عليهم ، ولكن مع ذلك من لا يصلي التراويح التي اعتني فيها الحافظ بالختم ، بل يفر من الختم فيها ن فلا يقال في شأنه إلا ما صدع القرآن الكريم في شأن من يقوم إلى الصلاة كسلان : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة * قاموا كسالى ﴾ (٢) ، لأن من الواضح أنه لا يترك إلا بالكسل ، إذا كان نشيطاً في عمله الدنيوي ، وليس بمقصّر فيه بشئ ، ويتحمل جميع أنواع المشاق والمشكلات والمصائب في طلب الدنيا ، بل كلها تذوب أمامه في سبيله مهما كانت ضخمة وهائلة ، والختم الواحد في التراويح في رمضان كله ، ليس بصعب ولا تطويل ، بل تخفيف على الناس وسهل لهم ، كما أشار إليه المحقق ابن الهمام في شرح قول صاحب الهداية : "لا يترك لكسل القوم" : "تأكيد في مطلوبية الختم وأنه تخفيف على الناس لا تطويل"(٣) .

وقد نقل الإمام النووي عادات مختلفة للسلف في القدر الذي يختمون فيه القرآن الكريم : "فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة ، وآخرون في كل شهر ختمة ، وآخرون في كل عشر ليال ختمة ، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة ، وآخرون في كل سبع ليال ختمة ، وهذا فعل الأكثرين من السلف ، وآخرون في كل ست ليال ، وآخرون في خمس ،

(١) الهداية : ١٣١/١ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٠١ .
(٣) فتح القدير : ٤٦٩/١ .

وآخرون في أربع ، وكثيرون في ثلاث ، وكان كثيرون يختمون في كل يوم وكل ليلة ختمة ، ختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين ، وآخرون في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثماني ختمات ، أربعاً في الليل وأربعاً في النهار ، وممن ختم أربعاً في الليل وأربعاً في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي (١) .

وعلى رغم ذلك كله أن المساجد التي تقام فيها التراويح ، ولكن لا يهتم فيها بختم القرآن ، فليس أهلها مسيئين بتركه ، نعم ! يُحرمون من أجر الختم ، لأن تارك السنة المؤكدة يأثم بخلاف تارك السنة غير المؤكدة فإنه لا يأثم ، وقد علم بالتحقيق أن الختم في التراويح سنة غير مؤكدة ، قال العلامة ابن نجيم المصري :

"السنة المؤكدة بمنزلة الواجب في الإثم بالترك"(٢) .

وقال قاضي خان في صدد ختم القرآن في التراويح مبيناً فائدته في الآخرة : "ولو قرأ بعض القرآن في سائر الصلوات بأن كان القوم يملون من القراءة في التراويح ، فلا بأس به ، لكن يكون لهم ثواب الصلاة لا ثواب الختم ، وقد ذكرنا أن السنة هي الختم في التراويح" (٣) .

وإن صار أهل محلة أو قرية أو مدينة غير متدينين ، وخمدت جمرة عاطفة الدين وحماسته في نفوسهم إلى أن يتنفروا من صلاة التراويح بسبب الاعتناء بختم القرآن فيها ، فله صورتان :

الأولى : ولا يأتي المسجد عدد من الناس يمكن بهم إقامة جماعة التراويح ، فحينئذ لا يقرأ فيها الإمام إلا قدر ما لا يتنفرون منها ، لئلا يلزم

(١) الأذكار للنووي : ص/١٤٧-١٤٨ ، تحقيق أحمد عبد الله باجور .
(٢) البحر الرائق : ٤٩/٢ ، راجع أيضاً رد المحتار : ١٠٤/١ ، ١٢/٢ .
(٣) الخانية بهامش الهندية : ٢٣٨/١ .

منه تعطيل المسجد ، لأن جماعة التراويح سنة مؤكدة كفاية (١) ، والختم فيها سنة غير مؤكدة ، ولا شك أن في تركهما جميعاً مفسدة ، لكن مفسدة تعطيل المسجد من جماعة التراويح أعظم من مفسدة إهمال الختم ، ومن الضوابط الفقهية الإسلامية أنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما (٢) ، وفي نفس ذلك الوضع أجاز العلامة ابن نجيم المصري بترك ختم القرآن في التراويح ، فقال :

"إذا لزم منه تنفير القوم وتعطيل كثير من المساجد خصوصاً في زماننا ، فالظاهر اختيار الأخف على القوم" (٣) .

والثانية : أن يجتمع عدد من الناس يمكن بهم إقامة جماعة التراويح شرعاً ، وإن لم يكن يحضره عدد كبير منهم باعتناء الإمام بختم القرآن الكريم فيه ، فلا ينبغي أن يهمل الختم حينئذ ، لأنه يلزم منه حرمان أصحاب الخير والدين وعلو الهمة المحافظين على الجماعة والمريدين الختم فيها ، فقد روى عن رسول الله ﷺ : "لا ضرر ولا ضرار" (٤) واستنبط الفقهاء من هذا الحديث ضابطة شرعية و وضعوها ، وهي أن الضرر لا يزال بالضرر (٥) .

(١) راجع : البحر الرائق : ٦٨/٢ ، والهندية : ١١٦/١ ، و رد المحتار : ٤٥/٢ .
(٢) الأشباه والنظائر -لابن نجيم المصري : ص/٩٨ .
(٣) البحر الرائق : ٦٩/٢ .
(٤) رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام : ١٦٩/٢ عن ابن عباس وعبادة الصامت والحاكم في المستدرك في كتاب البيوع : ٢٧/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلح : ٦٩/٦ ، والدار قطني في سننه عن أبي سعيد الخدري في كتاب الأقضية والأحكام : ٢٢٨/٤ ، والإمام مالك في المؤطا مرسلاً في الأقضية : ص/٣١١ .
(٥) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ص/٦٩ .

صور و أوضاع:

ديسمبر : شهر حقوق الإنسان

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الندوي

يحمل شهر ديسمبر ، شهر الأهمية السياسية ، فقد عرف هذا الشهر بشهر حقوق الإنسان ، للتوقيع على ميثاق حقوق الإنسان في ١٠/من هذا الشهر ، قبل أكبر من خمسين سنة ، وهو الميثاق الذي يعتبر حجر الميل في مسيرة الإنسانية المتحضرة .

ولأجل رعاية حقوق الإنسان تصدر منظمة العفو الدولي ، تقارير مفصلة على وضع حقوق الإنسان في مختلف دول العالم ، وتدل هذه التقارير على أن كل دولة من دول العالم ترتكب مخالفة هذه الحقوق التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة ، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت اليوم القوة الكبرى الوحيدة التي تملك سيادة العالم ، وهي أسرع الدول إلى المؤاخذة على خرق حقوق الإنسان ، وقد اتخذت الولايات المتحدة قانوناً يمكنها من التدخل لصيانة حقوق الأقليات الدينية ، أما التميز على أساس العنصر ، فهو محرم في دساتير سائر الدول المتحضرة .

ولكن التميز على أساس العنصر ، والدين ، والثقافة ، واللغة ، لا يزال ساري المفعول في شكل من الأشكال في معظم الدول في العالم ، ومنها الدول التي تتشدق في مكافحة هذا التمييز .

و تلجأ كل دولة إلى التفسيرات المختلفة لحقوق الإنسان ، و لاختلاف هذه التفسيرات ، واختيار كل دولة تفسيراً حسب أيديولوجيتها السياسية ، أو طموحاتها القيادية ، تبرر كل دولة ما يقع فيها من مخالفة لهذا

الحقوق الإنسانية .

إن العالم الذي يكثر من استخدام هذا المصطلح يعاني من مخالفة حقوق الإنسان ، كما كان يعاني منه العالم الإنساني قبل التوقيع على هذا الميثاق ، مثل تشريد عدد كبير من المواطنين ، ومعاقبة عدد ملحوظ من المواطنين لأسباب سياسية ، وسجنهم بدون محاكمة مدة طويلة ، ومنع عدد كبير من المواطنين من أداء واجباتهم ، و وظائفهم حسب عقيدتهم ، وصدهم عن ممارسة تقاليدهم ، وطقوسهم ، واتباع ثقافتهم ، واستخدام نعتهم الأصلية ، حتى الملكية الذاتية ، محدودة ، وأحياناً تجرى مصادرة الممتلكات ، أو تشريد السكان من بيوتهم ، وعقاراتهم ، والاستيلاء على آراضيهم ، وهدم معابدهم ، وقد شهد شهر نوفمبر وديسمبر في خضم الاحتفال لحقوق الإنسان أسوأ نوع من انتهاك حقوق الإنسان ، بعد اقتحام الاقدام النجسة في المسجد الأقصى بنوايا خبيثة ، و ردّ الفعل العنيف في دوائر الذين يقدسون هذا المكان ، وتضخم هذا الانفعال إلى انتفاضة عالمية . وقدم الفلسطينيون تضحيات جسيمة ، للجوء القوى المغتصبة للأراضي العربية الفلسطينية إلى أقسى الإجراءات ، حتى القصف الجوي الذي أدى إلى هدم مساحات ساشعة من المناطق الآهلة بالسكان ، وقد كانت هذه الإجراءات القاسية على ردّ فعل طبيعي انتهاكاً سافراً لحقوق الإنسان ، ولكن الولايات المتحدة زعيمة العالم المتحضر قامت باستنكار الانتفاضة ، وغضت البصر على الدافع إلى هذه الانتفاضة ، فساعدت المعتدي ، وبررت إجراءاته .

كانت الانتخابات العامة في الولايات المتحدة ، تعتبر الموضوع الرئيسي في شهر ديسمبر، وظلت النتيجة لهذه الانتخابات لغزاً من الألغاز ، وقد اتهم كل مرشح لهذا المنصب العظيم غيره ، وأبدى الشك في النتائج ، إلى أن رفعت القضية إلى المحكمة العليا الأقليمية ، ولم يكن حكم هذه المحكة مقنعاً للفريقين ، فرفع إلى المحكمة الوطنية ، وأخيراً رجحت كفة "جورج و

بش" ، واعترف ألجور المزعة ، إلا أنه غير مقتنع بحكم المحكمة ، وله تحفظات ، لأن الفارق بين المرشحين ضئيل للغاية ، ولانقسام الأعضاء انقساماً متوازياً ، تفيد التقارير الأخيرة ، بأن المستر "بش" سيشرك في الإدارة الأمريكية ، ممثلين من الحزبين ، الديموقراطيين ، والجمهوريين ، وقد بدأت المحادثات لهذا الائتلاف الإداري ، ومهما يكن من الأمر ، فإن هذا الموقف من قبل الرئيس المنتخب "بش" تدل على طبيعة التسامح ، والحب على التوافق ، ولكن تولي شخص مهما كانت ميوله وأفكاره منصب الرئيس لا يؤثر على أمريكا ، ولا يؤدي انتخاب أي شخص لهذا المنصب الكبير إلى أي تغيير سياسي كبير ، لأن الرئيس الأمريكي لا يملك السلطات المطلقة ، كما يملكها الرؤساء في بعض البلدان في العالم ، فإنه ملزم بموافقة النواب والقوانين السائدة في البلاد ، فيتبع الخطوط المعينة للسياسة الأمريكية ، وأهم هذه الخطوط خط العطف على اليهود ، ودعم دولة إسرائيل ، وتبرير ما تقوم به من إجراءات ، وقد أصبح هذا العطف على قضية اليهود ، ودعم دولة إسرائيل العظم الفقري لسياسة أمريكا التي اتبعها رؤساء أمريكا من أول يوم استقلالها .

والخط الثاني لسياسة أمريكا التقليدية ، هو دعم مصالح الاستعمار الغربي ، وفرض هيمنتها على العالم كله ، ويتحقق ذلك بالاتفاقيات الاقتصادية ، والتجارية العالمية ، والمساعدات العسكرية .

والخط الثالث الذي تسير عليه أمريكا ، منذ سقوط الدولة الاشتراكية السوفيتية هو ضرب الحركات الإسلامية ، الذي يتجاوز إلى حرب العمل الإسلامي بجميع أشكاله ، من التعليم الديني ، والدعوة إلى الإسلام ، ونشر الخير والصلاح ، ومراكز العبادة ، ولتبرير هذه الحرب التي تأتي في إطار مخالفة حقوق الإنسان ، تطلق أمريكا على جميع هذه النشاطات مصطلح ذرائع الإرهاب الإسلامي ، الذي سلطته أمريكا على نفسها ، واعتبرت نفسها هدفاً له من غير دليل .

وهذه هي القضايا الرئيسية التي أصبحت القضايا التقليدية لأمريكا ، وهي النظرة الاستعمارية ، الصداقة مع اليهود ، معاداة كل عمل إسلامي ، واعتباره خطراً على سلامة العالم ، والحضارة المعاصرة .

لقد عانت أمريكا مدة طويلة من الاضطهاد ، والقهر ، وهي تتكون من عناصر مختلفة ، وفيها نسبة كبيرة من المستضعفين ، من الأمريكيين السود المحرومين عن الحقوق الإنسانية ، وفيها أقليات دينية متعددة متوازية ، كان من حق هذا التاريخ و الواقع أن تكون أمريكا مأوى البؤساء ، وأن تكون منقذة البؤساء في كل مكان ، وأن تكون محايدة في موقفها إزاء قضايا العالم ، فتكون بجانب المظلوم والمحروم ، وقد نادت أمريكا في بداية القرن العشرين بوجوب تحرير الشعوب ، وانهاء الاستعمار ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، و نيل حريتها .

وفي "نيويورك" تمثال يحمل شعلة الحرية ، ويهتف بالناس بهذه الأبيات التي قالتها الشاعرة الأمريكية "إيما لازاردس" ، وهي نداء خرج من القلب الذي شاهد المعاناة :

"اعطوني المرهقين منكم والبؤساء
وجميع الأكداس البشرية التي تهفو إلى نسيم الحرية
أولئك التعساء الذين رمتهم شواطئكم الصاخبة
أرسلوا إليّ هؤلاء الذين لأماوى لهم
الذين طوّحت بهم العاصفة
فإنني أرفع لهم شعلتي عند الباب الذهبي" .

ولكن رؤساء أمريكا الذين تولوا هذا المنصب في مختلف العصور ، سلكوا سياسة دعم النظم التي قامت باستبداد شعوبها ، وحرمانها من حقوقها الإنسانية ، و هي سياسة أخطر من سياسة الاستعمار العسكري الذي سارت عليها القوى الاستعمارية التقليدية .

إن هذه السياسة تسببت لأمريكا العداء من شعوب العالم المستضعفة ، وهي سياسة ضد ذلك النداء الذي يهتف به تمثال الحرية في أمريكا ، تقول الشاعرة الأمريكية : "اعطوني المرهقين منكم والبؤساء" ، ولكن أمريكا ، بدلاً من إيواء هؤلاء المرهقين ، إذا ساعد أحد في تلك البلاد المرهقين ، اعتبر إرهابياً ، وكان مصيره المعاقبة في ضوء القوانين السرّية .

ولا يزال في سجون أمريكا علاوة على المجرمين ، عدد كبير من المعتقلين الذين لا ذنب لهم ، إلا مساعدة البؤساء والمرهقين ، والعاطفين على القضايا الإنسانية ، استهدفتهم القوانين السرية ، واتهموا بمساعدة الإرهابيين ، ولم يحاكم هؤلاء المعتقلون رغم مرور مدة طويلة على اعتقالهم ، وقد كان وراء هذه القوانين الأوساط اليهودية التي تتحكم على السياسة الأمريكية ، وتلعب وسائل الإعلام التي يملكها اليهود دوراً قيادياً في تشويه سُمعة أي مواطن أمريكي ، وإن كان لاجئاً في أمريكا ، ويخشى أن ضغط اليهود سيزداد بعد الانتخابات الأخيرة ، فقد أفادت التقارير الصحفية أن عدد أعضاء الكونجرس الأمريكي من اليهود قد ازداد في هذه الانتخابات من/٢٣ إلى ٢٧/عضواً في الكونجرس ، وعددهم في مجلس الشيوخ يبلغ عشرة أعضاء ، ويحتل اليهود مناصب الإرشاد والتوجيه ، والتنفيذ في الإدارة الأمريكية بجانب استيلائهم على المواضع الحساسة في التعليم ، والإعلام ، والاقتصاد ، وبذلك هم في موقف الإملاء ، والفرض ، ولكن طبيعة النظام الديموقراطي ، والجمهوري الذي تتبعه أمريكا تقتضي المساواة بين سائر طبقات الشعب ، ويشكل المسلمون نسبة معقولة من السكان ، وهم متساوون في نسبة السكان مع اليهود ، فلهم كل حق لينالوا نصيبهم في السياسة والإدارة ، وأن ينالوا حقوقهم الأساسية ، وأن تكون مشاعرهم

وأحاسيسهم موضع الدراسة ، والنظر لدى وضع السياسة المحلية ، والسياسة الدولية .

ويدعم هذا الحق الذي يملكه المواطنون المسلمون في أمريكا سكان ٥٦/دولة إسلامية تتعامل معهم أمريكا ، وترتبط بها مصالحها .

إن الانتفاضة الإسلامية أو الصحوة الإسلامية حقيقة ، وهي في الواقع ردّ فعل للحرمان ، والظلم الذي عاش فيه المسلمون في العالم كله على أيدي النظم السياسية الموالية للدول الغربية ، والناشئين في مدارسها ، وسوء معاملة القوى الاستعمارية ، وهذه الانتفاضة سائرة سيرها الطبيعي ، ويتوسع نطاقها ، وتتقوى في المستضعفين عاطفة التضحية والتفاني في سبيل نيل الحقوق الأساسية لهم ، وخير طريق لمعالجة هذا الوضع التفاهم معه ، وإزالة الحواجز ، والعقبات في سبيل العمل الإسلامي ، وأن هذا التفاهم العاقل الحكيم من قبل القيادات السياسية سيعيد العمل الإسلامي إلى الطريق الإيجابي إذا حدث فيه أي نوع من السلبية يسبب موقف العناد والجحود من قبل القيادات السياسية .

وإذا جرب الرئيس الجديد لأمريكا هذه الحكمة ، واختار طريقاً مستقلاً غير التقليد لما سلكه الرؤساء السابقون الذين كانوا أسرى في أيدي اليهود ، فسيُسجّل اسمه في التاريخ كموجّه للتاريخ ، ولا كمعيد لأوراق التاريخ ، وإذا تغير موقف أمريكا إزاء هؤلاء المناضلين للحقوق تغير موقف سائر دول العالم ، وإذا سيخلد شهر آخر الألف الثاني كفاتحة عهد جديد لحقوق الإنسان .

* * *

من أخبار العالم الإسلامي :

إدارة أمريكية جديدة و قضية القدس

بقلم : الأستاذ عامر حسن (لندن)

عبرت مصادر يهودية متعددة عن قلقها من مستقبل عملية التسوية تحت إشراف الإدارة الأمريكية الجديدة التي يرأسها "جورج بوش" ، والتي يبدو أنها لن تقدم دعماً مطلقاً ، كما كان يفعل الرئيس "كلنتون" ، وعلى الرغم مما قيل في السابق بأن كلا المرشحين للرئاسة ، بوش وآل جور ، عبر عن التزامه بدعم الكيان الصهيوني ، وعدم التخلي عنه ، إلا أن درجة هذا الدعم تبدو أقل نسبياً في حالة بوش منها في حالة جور ، ولا يعود ذلك بالضرورة لاعتبارات مصلحية أو ولاءات أيديولوجية تتعلق بشخص كلا المتنافسين ، وإنما لطاقم الفريق الذي سيعمل تحت إدارته ، والذي يؤثر حتماً على الرئيس عند صياغة سياسة الولايات المتحدة الخارجية نحو المنطقة .

ويتعزز هذا التصور ، على ضوء الغموض الذي يكتنف توجهات بوش السياسية خاصة ، وهو يبدو في مواقف وتصريحات كثيرة غير واضح أو نهائي في آرائه أو إجراءاته ، وأوضح مثال على ذلك أن بوش تكلم مراراً عن نيته نقل السفارة الأمريكية إلى القدس ، إلا أنه غير وعده بعد ذلك متحدثاً - بدلاً عن ذلك - عن نقل سفيره فقط ، والفرق بين التصرفين رمزي أكثر من أي شئ ، لكنه يشير في المحصلة إلى حجم الضغوط التي يتعرض لها من جانب قوى متنافسة داخل فريقه الجمهوري .

و ما يزيد من القلق الصهيوني أن بوش يعتمد على طاقم سياسي لعب دوراً محورياً في إدارة والده - الرئيس الأسبق - من أمثال وزير الخارجية "جيمس بيكر" ، الذي لا ينسى اليهود أنه شجع بوش الأب على تجميد قرض بـ ١٠/بلايين دولار بسبب استمرار تل أبيب في بناء مستوطنات في الضفة الغربية ، ومن أمثال وزير الدفاع السابق "ريتشارد تشيني" الذي لا يخفي التزامه بدعم تل أبيب ، لكنه يعتقد أن الاستبقاء على علاقات عربية أمريكية أمر لا يقل أهمية ، بسبب مكاسبها المرجوة .

ولذا لا ينظر الصهاينة واليهود عموماً ، بما في ذلك يهود أمريكا ، إلى الإدارة الجديدة نظرة تفاؤل ، بل على العكس ، يخشون من أن تتعرض تل أبيب لمحاولات "كبح جماح عدوانها المستمر ضد الفلسطينيين" يؤكد ذلك رئيس مجلس اليهود الأمريكيين ، جاك روسن ، الذي نقلت عنه صحيفة : "جيروزليم بوست" ، قوله : "ستواجه الجالية اليهودية (في أمريكا) مرحلة صعبة على مستوى الدعم الذي كانوا يلمسونه من كلنتون" مضيفاً : "وستواجه إدارة مكونة من أفراد مهمين لن يروا قضية الشرق الأوسط من زاوية المنظور التقليدي الذي يماثل وجهة النظر الإسرائيلية" .

وبينما سيعتمد الرئيس الجديد - متواضع التجربة - على نائبه تشيني في تشكيل فريق عمله ، فإن تشيني سيستقطب كثيراً من الذين كانوا يعملون سلفاً مع بوش الأب ، الذي دخلت في عهده الإدارة الأمريكية مرحلة : "غير صديقة" مع الدولة العبرية ، عمل بعدها اليهود في أمريكا على ضمان عدم فوزه أو حزبه لفترة قادمة ، والتصويت بدلاً منه لمنافسه كلنتون ، لفترتين متتابعتين ، لكن مع ذلك فإن طاقم بوش الحالي ، وحزب الجمهوريين عموماً لن يخلو من مؤيدين معروفين للكيان الصهيوني ، حيث إن القول بأن الحزب منسجم مع نفسه حيال قضايا المنطقة ، ومنها الموقف من إيران والعراق أيضاً ، أبعد ما يكون عن الحقيقة .

ففي داخل الحزب الجمهوري ، هناك تياران ، أو مدرستان ، حيال السياسة الخارجية ، والشرق الأوسط بالذات : أولاً ما يعرف بالتيار "الريجاني" ، نسبة إلى الرئيس الأسبق ، وتيار بوش وطاقمه المكون من وزير خارجيته بيكر ، ويطمح التيار الأول إلى تنميط أنظمة الدول العربية حسب الديموقراطية الأمريكية ، ومحاربة الأنظمة الديكتاتورية أو التي لا تنسجم مع المصالح الأمريكية ، ومن هذا المنطلق يفضل هذا التيار عزل أنظمة مثل سورية بدلاً من محاورتها ، والتطبيع مع إيران لقوتها ونفوذها في المنطقة ، ويفضل تيار بوش علاقات "مفتوحة" نسبياً مع الجميع بصرف النظر عن تفاصيل الأنظمة ، ما دامت هذه الأنظمة قادرة على حماية مصالحه .

و بصرف الاعتبار عن تركيبة الإدارة الأمريكية الجديدة و مواقفها

التفصيلية من قضية الصراع في فلسطين ، فإن الصهاينة يسعون حثيثا من الآن في مد جسور التواصل ، والتأثير على الشخصيات المهمة داخلها ، ومن ذلك الاتصالات المبكرة التي أجراها رئيس الحكومة السابق "نتنياهو" مع المرشحة لمنصب مستشار الأمن القومي "كوندوليزا رايس" أثناء زيارته لواشنطن مؤخراً ، وعلى الرغم من أن رايس عملت في الأمن القومي في عهد ريجان إلا أنها تنضم مبدئياً لمدرسة بوش ، ودليلها خبرة متواضعة جداً عن المنطقة ، ونقل عن مصادر صهيونية أيضاً أن نتنياهو حضر حفل عشاء في منزل وزير الخارجية الأسبق في عهد ريجان ، جورج شولتز ، الذي ينضم بوضوح للتيار "الريجاني" .

لكن التركيز الصهيوني الأساسي في المرحلة القادمة سيكون على قائد القوات العسكرية السابق أثناء حرب الخليج ، وزير الخارجية المقبل الجنرال "كولين باول" ، باعتباره سيكون المعني مباشرة بصياغة سياسة أمريكا تجاه المنطقة ، وعلى الرغم من أن باول ينضم أيضاً لمدرسة بوش إلا أنه لم يعرف عنه أنه صاحب وجهة نظر واضحة للصورة التي ينبغي أن يكون عليها العالم ، بما في ذلك العالم العربي ، صحيح أنه قائد عسكري صاحب تجربة ثرية ، تراكمت عبر مشاركته في حرب فيتنام ، ومن خلال عمله القصير كمستشار للأمن القومي ، لكنه لم يعكس هذه التجربة على صورة تصريحات وآراء سياسية .

وتظل خلفية باول إزاء المنطقة ، وتجاه اليهود متسمة بالغموض ، فقد نشأ باول في منطقة بمدينة نيويورك غالبيتها يهود ولديه معرفة أولية باليهودية ، وبرغم أنه أصلاً من جاميكا إلا أن فيه عرقاً يهودياً من طرف أسرة والده ، ويتمتع بعلاقة صداقة مع باراك ، لكنه مع ذلك بالنسبة لمراقبي سياسة الشرق الأوسط على الأقل ، يمثل علامة استفهام كبيرة ، سيما حول موقفه من أزمة التسوية ، حيث لم يعرف عنه انحياز أعمى للكيان الصهيوني .

ومن الذين يشاع أنهم سيساعدون باول في منصبه سفير أمريكا (سابقاً) لدى سورية ولبنان ، ومدير مؤسسة "جيمس بيكر للسياسة

العامة" بجامعة رايس ، إدوارد جريجيان ، الذي يشاطر بيكر كثيراً من آرائه حول المنطقة ، فهو يرى أن عملية التسوية ، ومصالح أمريكا الإقليمية أمران متلازمان ، ويقول بوضوح : "بالنظر لمصالح أمريكا المحورية في الشرق الأوسط ، وعلاقاتها الخاصة التي تتمتع بها مع دول مهمة ، فإنه يتحتم على أي إدارة أمريكية أن تعمل لتحقيق السلام في الشرق الأوسط لتفعيل مصالحها القومية في المنطقة ككل" ، ويعتقد جريجيان أن كلنتون أخطأ في مفاوضات "كامب ديفيد" الفاشلة لأنه دفع بقضايا أكثر من اللازم ، وأسرع من اللازم" ، وأنه فوت على المنطقة فرصتين تاريخيتين من فرص السلام ، وخمن أن بوش "سيشرف" على محادثات التسوية ، لكنه لن يتدخل في مناقشة التفاصيل .

لكن ليس جميع طاقم بوش المحتمل ينتمي لمدرسة والده ، التي تعتبرها تل أبيب متفهمة لتحفظات العرب أكثر من اللازم ، وإنما يوجد من ينتمي للمدرسة الريجانية من أمثال المرشح لمنصب مدير وكالة الاستخبارات بول ولفويتز ، وريتشارد بيرل الذي يتمتع بعلاقات صداقة قوية مع شخصيات صهيونية مثل نتنياهو ، وكان من الذين عارضوا بشدة اتفاق "أوسلو" لأنه حسبما يرى لم يكن في مصلحة الكيان الصهيوني ، وينتقد ولفويتز سياسة كلنتون إزاء العراق ، لأنها لم تسفر عن إسقاط صدام ، كما أنه غير راض عن أداء الإدارة الأمريكية الحالية إزاء مفاوضات التسوية مهما بدا كلنتون متعاطفاً مع اليهود ، ولذا فإن اللوبي الصهيوني يطمح إلى أن يدفع بهذين ، بيرل و ولفويتز ، إلى داخل مواقع حساسة داخل الإدارة الأمريكية لمعادلة أي توجهات سياسية معاكسة ، لكن في المحصلة ، لن تظهر طبيعة الإدارة الأمريكية الجديدة على حقيقتها إلا بعد اكتمال طاقم الفريق الذي سيصوغ سياسة واشنطن إزاء المنطقة .

[مع الشكر لمجلة : "المجتمع" الغراء الكويتية]

★★★

من أخبار العالم الإسلامي :

العلامة القرضاوي : "شخصية العام الإسلامية"

وقع اختيار أعضاء "لجنة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم" على الداعية الإسلامي الكبير ، والعالم المفكر الشهير ، فضيلة الدكتور العلامة يوسف القرضاوي لنيل جائزة شخصية العام الإسلامي ، ضمن مسابقة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، وقد تسلم هذه الجائزة الغالية من سمو ولي عهد دبي : الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ، في ٢٠/من شهر رمضان المنصرم ١٤٢١هـ .

وقال الدكتور القرضاوي ، وهو يلقي كلمته التقديرية بعد تسلم الجائزة :

"إن هذه الجائزة ليست مجرد تكريم شخصي ، بل هي تكريم لتيار الوسطية التي يمثله ويتبناه ويدعو إليه ، وقال : لقد نذرت نفسي وفكري ولساني وجهدي وقلمي للتعريف بتيار الوسطية ، والدعوة إليه ، والدفاع عنه ، وإزاحة العقبات من طريقه ، و رد المفتريات والشبهات عنه ، إنه التيار الذي عُرف منذ مدة باسم : " تيار الوسطية " ، وهو التيار الذي يعبر عن وسطية هذا الدين الذي سماه الله تعالى في كتابه : "الصراط المستقيم" ، ويعبر عن وسطية هذه الأمة التي زكاها الله تعالى بقوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ ، وعن وسطية : "الخلف العدول" الذين يحملون إلى الأجيال علم النبوة ، وميراث الرسالة ، وهم الذين بشر بهم الحديث الشريف : (يحمل هذا العلم من خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) ، وقد أفادت الأنباء أن العلامة القرضاوي قد وقف مبلغ الجائزة بكامله على شئون تعليم وتربية الشباب الإسلامي.

وقد سبق أن سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) حصل على هذه الجائزة لعام ١٩٩٨م ، التي كان لها صدى في جميع العالم الإسلامي ، وكان العلامة المرحوم قد وقف مبلغ الجائزة على التعليم الإسلامي في الهند وخارجها .

إلى رحمة الله تعالى :

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي

في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة المجلة وجامعة ندوة العلماء بنبأ وفاة فضيلة الأستاذ الدكتور السيد محمد لقمان الأعظمي الندوي ، أحد أبناء ندوة العلماء القدامى ممن برزوا في ميدان العلم والأدب والدين ، وأسهموا في شئون العلم والدعوة ، وعُرفوا في أوساط العلم والثقافة والدعوة بالنظرة السديدة ، والفكر السليم ، وقدشغل الفقيد منصب رئيس قسم الدراسات الإسلامية في كلية إعداد المعلمين بمدينة "حائل" بالمملكة العربية السعودية .

كان قد أصيب بالنوية القلبية منذ مدة ، وأشار عليه الأطباء بإجراء العملية ، والترقيع الوريدي ، وأدخلوه في مستشفى الملك بالرياض حيث أجريت العلمية قبل أربعة أشهر ، ولكنها لم تنجح وظل في حالة الاغماء حتى وافاه الأجل ، ليلة ١٢/شوال ١٤٢١هـ ، المصادف ٧/يناير ٢٠٠١م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان نبأ وفاته صدمة عنيفة لجميع أصدقائه وأقربائه ومحبيه في كل مكان ، وخاصة في أوساط ندوة العلماء التي كانت مدرسته الأم ، لأنه تعلم فيها منذ نعومة أظفاره إلى نهاية الدراسات العليا ، ثم سافر إلى جامعة الأزهر ، ودرس هناك ، وأحرز شهادة الماجستير والدكتوراة ، ثم تعين في المملكة العزيزة كأستاذ وداعية .

كانت له علاقة خاصة بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) وبخلفه سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وأساتذته جميعاً ، كما كان معجباً بجامعة ندوة العلماء ومعتزاً بها في جميع الأحوال .

لم يُرزق من الأولاد من يكون له خلفاً و ولياً بعده ، ولكنه خلف كتباً ومؤلفات عديدة ، وعدداً كبيراً من التلاميذ ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

إعلان الملكية

١- **مركز النشر** : مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، بادشاه باغ - لكهنؤ .

٢- **شهرية** .

٣-٤- **الطابع والناشر** : أطهر حسين - هندي - عدنان بلي ، ولكر روڈ ، دويگا ، كاكوري روڈ - لكهنؤ .

٥- **رئيس التحرير** : سعيد الأعظمي الندوي - هندي الجنسية .

أنا الموقع أدناه أطهر حسين أصدق أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة على حد علمي .

٦- **الناشر** : أطهر حسين .

٧- **رقم التسجيل الرسمي** : (U.P. ARA/2000/2341) (March 2001)